قلوب عبير

بالاشتراك مع راديو مونت كارلو

شارلوت لامب

التجربة

رحلة العمر
إلى
شواطئ اليونان
وجزره

WWW.REWITY.COM

مرموريـة

قلوب عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. K2

التجربة

«بيري، توقف. عليّ ان أقول لك شيئاً... انا آسفة... لكن...».

وبعناقه القوي أخرسها. فجأة انفتح الباب بقوة ودخل لوك كالاعصار.

التفتت سارة بعد ان حرّرها بيري ورأت لوك يتقدم منهما ويقول:

«ايليوت! أين تعتقد انك موجود...؟».

نهض بيري مترنحاً وحدّق بلوك. فصفعه هذا الأخير على وجهه وأوقفه على المقعد وراح الدم ينزف من أنفه. أطلقت سارة صرخة:

«بيري، كيف حالك؟».

أعطته منديلا فقال:

«أنت وحش حقيقي يا ايليوت».

قال لوك بصوت ناعم:

«لا تقترب من زوجتي والا أخلع رقبتك».

أمسك لوك بسارة التي كانت تحاول مساعدة بيري. فصرخت تقول:

«ابتعد عني! لقد جرحته! وربما كسرت أنفه...».

«آمل ذلك حقاً».

لبنان ١٠ ل.ل.	الكويت ١ د	اليمن ٤ ر	السودان ٨٠٠م
سورية ١٠ ل.س	الامارات ١٢ د	تونس ١٥٠٠ د	U.K. £ 150
الأردن ٨٠٠ ف	البحرين ١٥٠٠ د	ليبيا ١ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ١٢ ر	المغرب ٥ د	Greece Drs 200
السعودية ١٢ ر	عمان ١٥٠٠ ر	مصر ١٠٠ ق	Cyprus P 1500

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
AUTUMN CONQUEST

© CHARLOTTE LAMB 1978
© 1984 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: شارلوت لامب
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ـ سارة تحمل جرحاً قديماً، مازال ينزف في داخلها، تحاول التوفيق بين مرض والدها ورغبتها في الاستجابة لعرض بالزواج من اعزّ اصدقائها بيري... الهادىء، الطيّب، المتفهّم. موت والدها يجلب معه الشبح القديم للرجل الذي هجرته وهجرها!

شعرت سارة بالفخر وهي تجلس وراء المكتب الوقور الذي كان ذات يوم مكتب والدها. كانت تتأمل الاضواء المتأرجحة في أفق مدينة لندن. فمكاتب المؤسسة تقع في الدور السادس لبناية ضيقة محشورة بين بنايتين ضخمتين. لكن نافذة مكتبها كانت تطلّ على منظر خلاب للمدينة، تبرز من خلالها قبة كاتدرائية القديس بولس الرمادية ومن بعيد تلمع مياه نهر التايمس.

منذ سنتين وهي تحتلّ هذا المكتب وتتعلّم مهنة والدها التي مارسها مدة طويلة. كانت دائماً على اتصال به هاتفياً. فالهاتف هو الصلة الوحيدة بينه وبين العالم الخارجي.

والدها في الخمسين من العمر، يدعى سام هاريسون. اصيب

بمرض لاشفاء له، فانشل جسدياً، لكنه ما زال يتحلى بكل مقدراته العقلية والثقافية. انها مأساة حقيقية لهذا الرجل النشط والطموح. وكانت سارة معجبة به كل الاعجاب، يصارع بشجاعة مستنزفاً جميع قواه ومحافظاً على حيويته وروح الفكاهة.

كل يوم يقرأ الصفحات الاقتصادية في الصحف المحلية ويقوم ببعض الاتصالات الهاتفية. وما ان ينتهي من عمله حتى يبدأ بلعبة الشطرنج بواسطة الهاتف مع صديق له واحياناً يقرأ القصص البوليسية او يسمع الموسيقى الكلاسيكية.

وجدت المرأة نفسها على رأس هذه المؤسسة في الوقت الذي كانت فيه بأمس الحاجة للعمل والانشغال، ولذا فقد القت نفسها باندفاع ونشاط في عملها الجديد. ومن حسن حظها ان مستشار والدها ورجل الثقة بالنسبة اليه كان قريباً منها. كان يدعى جايسون وود. في البداية خافت ان يشعر جايسون بالمرارة بأعتباره الانسان الثاني في الشركة بعدها. لكن تبيّن لها، فيما بعد، ان تخوفاتها بلا سبب. بالعكس فقد تكيف جايسون سريعاً مع الوضع واظهر عن كفاءة واصبح لا بديل عنه.

وخلال سنتين، اكتسبت سارة ثقة حقيقية بعملها. واصبح بأمكان جايسون ان يوكل اليها جميع الاعمال العادية، ليتمكن من تكريس وقته كلياً في اختيار الاستثمارات الجديدة.

فشركة «هاريسون» لم تصبح بعد مؤسسة ضخمة عالمية، لكن اساسها كان متيناً ونموها منتظماً سنة بعد سنة. وكانت سارة تعرف بأنها ستصبح ذات يوم صاحبة تلك المؤسسة، لأن والدها عرف كيف يحافظ على ملكية معظم الاسهم، وهي ابنته الوحيدة ووريثته

الاكيدة.

عيناها محدقتان في السماء المتأرجحة بشمس المغيب، تفكر بوالدها بحزن كبير. فمرضه يزداد تطوراً بسرعة ولم يعد لديه الوقت الطويل في هذه الحياة. في بداية الصيف، قضت سارة مع والدها اسبوعاً في كورنويل، غربي انكلترا. واظهر سام حينذاك عن مرحه واسترخائه. لكن بالرغم من هذه المظاهر، شعرت سارة ان صحته تسوء وانه اشرف على نهايته. كان السياح يتأملون هذه الفتاة الشابة وهذا الرجل المريض الذي يتنقل على الكرسي الآلي. لكنه كان سعيداً بالخروج بعد ان قضى ثلاثة اشهر في المستشفى.

كم يتبقى له من الحياة؟ تساءلت سارة والدمع يملأ عينيها. لم يتمكن الاطباء من تحديد زمن الوفاة، لكنها لاحظت الارهاق القوي عند والدها، في هذه الأيام الاخيرة، وكم كان يحب اللجوء الى الفراش من اجل الراحة.

رن جرس الهاتف، فانتفضت مذعورة ثم تناولت السماعة بطريقة آلية:

- سارة حبيبتي...

ارتسمت ابتسامة على وجهها وقالت:

- بيري! اعتقدت انك ستبقى في اسكتلندا حتى نهار الاربعاء.

- لقد عدت بعد ظهر اليوم واشتقت اليك.

- يا للصدفة!

اندهش بيري وسألها:

- ماذا تعنين؟

- اعني انني اشتقت اليك، انا ايضاً، يا صديقي الاحمق.

قهقه ثم قال:

ـ انا في غاية السعادة. هل نتناول العشاء معاً، هذا المساء؟

ـ لقد وعدت والدي ان اتعشى معه. لماذا لا تنضم الينا؟

ـ سأكون مسروراً للغاية، لأنني احب سام كثيراً. لكن، هذا المساء، اريدك لوحدي. لديّ امور أريد ان احدثك بها.

اقترحت سارة ان تتصل بوالدها لتعرف اذا كان هذا التغيير في البرنامج لا يزعجه، قبل ان تعطي الجواب النهائي لبيري. وعلى الهاتف شجعها سام بحماس لأن تقبل دعوة صديقها، اذ قال لها:

ـ لا تقلقي عليّ، فالسيدة جينكيس ستهتم بي. تسلّي وافرحي وسلّمي على بيري. انه شاب لطيف.

كم هو طيّب معها! لكنها تعرف نظرة والدها تجاه بيري. لا يمكن لسام ان يرى فيه الرجل الذي سيحل مكان... لا يمكنها ان تلفظ اسمه، ولا تريد ابداً ان تفكر فيه. الماضي قد دفن الى الابد.

اختار بيري مطعماً ايطالياً فاخراً في شارع هادىء. الديكور كان بسيطاً وذا ذوق رفيع. الرواق الخارجي كان مصنوعاً من القش وورق العنب. الخدمة جيدة والطعام شهيّ وهو يحدثها عن رحلته الى اسكتلندا. كان الشاب مسروراً من نفسه لأن اعماله تسير كما يجب.

بيري الابن الوحيد لمايكل دوريل رئيس شركة دوريل وشركاه. انها شركة كبيرة، تأسست في مدينة مانشستر ثم توسعت في السنوات الخمس الاخيرة بعد ان امتدت الى العاصمة البريطانية. وهذه الشركة في ازدهار متواصل تنمو كالفطر... وبيري كان في البداية زميلا لسارة، لكنه اصبح شيئاً فشيئاً صديقها الصدوق.

انه في السابعة والعشرين من عمره، وسيم بشعره الكستنائي

المجعد وعينيه الجوزيتين الضاحكتين. كان جذاباً وساحراً. ويتمتع بطبيعة رقيقة، عطوفة ومتساهلة. يحب اخواته الاربع حباً كبيراً، وهو الصبي الوحيد في العائلة وسارة، الابنة الوحيدة ايضاً، كانت تحب الجوّ الحميم الذي يعمّ في منزل آل دوريل حيث تفكّر العائلة جدياً بمجيء الاحفاد للجدّ العجوز.

سألته سارة فجأة:

ـ كيف حال والدتك؟

اجابها بابتسامة واسعة:

ـ جيدة جداً. لكنها لم تشاهدك منذ مدة طويلة.

ـ انت تعرف كم انهمرت عليّ الاعمال اخيراً. وكذلك جايسون كان منهمكاً للغاية.

ـ حاولي ان تزوريها فهي تحبك كثيراً. وتأمل في ان تصبحي يوماً كنّتها.

انتفضت سارة واحمرّت وجنتاها. اذن هذا هو الموضوع الذي كان بيري يريد التحدث فيه معها. كيف لم تتدارك للأمر! ان فكرة الزواج هذه لم تخطر ببالها. همس بيري قائلا، بعدما وضع يدي الفتاة بين يديه:

ـ لم اكن أريد ان افتح الموضوع بهذه الطريقة المفاجئة. لكن منذ أسابيع عديدة وأنا أريد ان احدثك به. اعتقدت انك ادركت هذا الأمر.

ـ لكن، يا بيري، انا لست انسانة حرّة.

ـ اعرف، فما زلت متزوجة من ايليوت. طبعاً، اعرف... لكنكما منفصلان منذ سنتين وبامكانك ان تحصلي على الطلاق

بسهولة.

ـ اظن ذلك. لكن هذا سيضطرني الى الاتصال به، وهذا ما لا أريده مهما كان الثمن.

ـ الا انه لم يعد هناك شيء بينكما.

ـ بلى... العدائية. انها احياناً احساس اقوى من الحب.

ـ تقصدين انك...

قطّب بيري حاجبيه بازلاً جهده ليفهم ثم اضاف:

ـ تعنين ان الحقد وحده سيقف في الطريق.

ـ اذا اردت ذلك.

ـ لكن هذا امر وحشي!

ـ كما تريد ان تسميه.

اصرّ الرجل وهو يرمقها بنظرة ثاقبة:

ـ اذن، انت لا تحبينه ابداً؟

لم تبعد نظرها عنه وقالت بتأكيد:

ـ اكرهه. والاّ لماذا تركته اذن؟

ابتسمت بحنان واضافت:

ـ أحبك كثيراً يا بيري واحب رفقتك وسأكون فرحة ان انضمّ الى عائلتك. لكن...

ردّد بغضب:

ـ لكن؟

ـ انك تسرّع الامور. انت بالنسبة اليّ صديق في الوقت الحاضر وانا لست متأكدة من عواطفي تجاهك.

دفع بيري الفاتورة وخرجا في ذلك الليل العذب وساعدها على

الصعود في سيارته الحمراء وجلس قربها واقلع. ثم اقترح عليها بصوت ناعم:

ـ لنبحث عن مكان هادىء حيث يمكننا ان نحكم على عواطفك. لا تقلقي، فليس عندي نوايا شريرة.

بعد قليل اوقف سيارته في شارع هادىء في مدينة هامستد. خلفهما الاضواء تنشر نورها الخفيف. وحفيف الريح في الاشجار ابعدهما عن زحمة السير. وحيدان للحظة واحدة في قلب لندن.

امسك بذراعيها لكن الفتاة ظلت بعيدة. وبعد قليل ذابت في حرارة عناقه. من زمان لم تعانق رجلا. ضمته اليها فجأة مندهشة من ردة فعلها وراحت تداعب بحنان شعره المجعّد. فهمس في اذنها قائلا:

ـ سارة حبيبتي، انا احبك. اما زالت الشكوك من رأسك؟

ـ يا لك من ديك متعجرف!

تنهد وهو يضمّها بشدة ويقول:

ـ كنت شاباً احمق، اردت ان اترك لك الوقت لتعتادي عليّ وكنت اخشى ان افاجئك بعنف.

ـ انت على حق، يا بيري، لم اكن مستعدة. كنت ما ازال امضغ حقدي ضد السيّد ايليوت.

ـ لماذا لا تستعملي اسمه الاول عندما تتكلمين عنه؟

ـ لا تفوتك فائتة! اذن، كما ترى، افضّل ان احافظ على بعدي عنه، حتى في الكلام.

ـ يا سارة المسكينة. ماذا فعل ايليوت بك؟

ـ زواجنا كان كارثة حقيقية. لم يدم الاّ سنة واحدة وكانت اطول

سنوات حياتي. كنت في العشرين من العمر عندما تزوجته واصبح عمري مئة سنة عندما تركته. اخاف الاّ تكون جراحي التأمت كلياً. آمل ان يكون قد قاس العذاب هو ايضاً. لكنني اخشى ان يكون عديم الاحساس...

اصرّ الرجل قائلا:

ـ سارة، ماذا تفكرين بي؟ هل سأدخل الى قلبك يوماً ما؟

اجابت وهي تنظر اليه مباشرة في عينيه:

ـ لا اعرف. اذا كنت حرّة... ربما. لكنني لست حرة! لا اريد ان اشجعك، واحب ان اكون صادقة معك.

ـ لقد حذرتني والمشكلة اصبحت تخصني. وبعد هذا العناق اشعر بتفاؤل غريب.

قالت بضحكة قوية:

ـ لقد فتنتني! لم اعرف انك خبير.

ـ يا لك من فتاة وبائية!

تغيّرت ملامح وجهه فجأة، وراح يفتش في علبة صغيرة وسحب منها جريدة مطوية. ثم اشعل ضوء السيارة الداخلي ومدّ اليها الصحيفة وقال:

ـ لقد قرأتها صباح اليوم في الطائرة.

اشار الى الصفحة المعنية، فنظرت اليها وارتعشت امام الوجه القاسي والعينين الرماديتين والفم المتعجرف. وقرأت ما كتب تحت الصورة ثم قالت:

ـ انه هنا في لندن! هل تصوّرت انه ربما جاء لرؤيتي؟

احمرّ بيري وقال بصراحة:

ـ لقد خطرت هذه الفكرة لي.

قالت بسخرية لطيفة متأثرة من نظراته اليها:

ـ انت تغار. لا سبب لذلك. وانا اكيدة ان ايليوت لن يحضر لزيارتي. لقد جرحت عنفوانه عندما هجرته ولن يسامحني ابداً. اذا طلبت منه الطلاق فسيكلفني ذلك غالياً حتى ولو كان هذا يناسبه ايضاً. انه رجل صلب لا يتحطم بسهولة ولا يسامح ابداً. لم اتزوج من رجل، بل من مؤسسة بكاملها: مؤسسة ايليوت، واسطورة ايليوت. انه حقاً اسطورة حيّة. هو الرجل الذي رسم طريقاً بيدين فارغتين حتى وصل الى القمة. يتمتع بكل الصفات المطلوبة لكسب المال، لكن أيّ واحدة من هذه الصفات قادرة ان تسعد امرأة. يهمه ان يربح مهما كان الثمن وهذا ما أدى الى الانفصال في زواجنا.

ـ كيف التقيت به؟

ـ في سهرة باريسية. كنت هناك مع والدي. بيري، ارجوك، لا تحدثني عنه. أريد ان انسى حتى وجوده.

ـ سارة، يجب ان تحدثيه ما دام موجوداً في انكلترا.

ـ ان اراه؟ لا يمكنني ان افعل ذلك ابداً.

ـ سارة، لا يمكنك ان تستمرّي على هذا المنوال الى الأبد. عليك ان تسترجعي حريتك.

همست وهي ترتجف:

ـ هذا صحيح.

ـ اغتنمي هذه الفرصة، يا حبيبتي. فهو الآن في فندق هيلتون. خذي منه موعداً، سيستقبلك وان بداعي الفضول.

احتجّت قائلة:

ـ انت لا تعرفه.

ـ انه رجل كالآخرين! وهذا الوضع لا يفرحه، مثلك.

نظرت اليه سارة كالعمياء وقالت:

ـ ماذا تقول؟

ـ الاحظ فقط انه انساني، وحسب ما تنشر الصحافة عنه، فالنساء معجبات به كثيراً.

ـ لوك ايليوت حرص جداً الاّ يظهر عن خيانته حتى لا اتمسك بها كحجة للحصول على الطلاق.

ـ لكنه لا شك بحاجة الى المرأة. ويجب ان يؤسس عائلة وينجب الاطفال. وذات يوم ستطلّقين بالقوة. لماذا لا تفعلين ذلك في الحال؟

تنهدت سارة بعصبية وقالت:

ـ سأفكر بالامر. لنعد الآن. سيتساءل والدي عن سبب تأخري. فهو يقلق كلما اعود متأخرة.

ـ كيف حاله؟

ـ لم يتغيّر. وليس بوسعي ان اتأمل خيراً. انه امر رهيب ان اراه يذوب شيئاً فشيئاً كل يوم.

ـ هذا أمر رهيب ومؤسف حقاً لرجل مثل سام.

خلال الطريق كانت سارة تحدق في الفراغ وتتخيّل نفسها من جديد وجهاً لوجه مع زوجها، جالسة قربه في حديث تافه.

توقفت السيارة- ألقت الفتاة نظرة سريعة الى بيري وقالت بصوت فج:

ـ لن اتمكن من ذلك ابداً. انا آسفة، يا بيري، لكنك لن تستطيع فهم هذه الأمور. متى يعود الى الولايات المتحدة الاميركية، سأتصل

بمحاميه. لا اتحمّل ان اراه من جديد.

خرجت من السيارة وسارت بسرعة نحو المنزل. فلحق بها بيري وامسك بذراعها. وعلى ضوء المصابيح الكهربائية راح يتأمل وجهها الشاحب المرفوع نحوه وعينيها الزرقاوين وشعرها الاشقر الرمادي وعنقها الطويل وصرخ:

ـ سارة...

انحنى وعانقها بشغف. لكن هذه المرّة، لم ينل اي تجاوب من قبلها، اذ بقيت كالرخام بين ذراعيه.

ابعدته عنها ببطء وقالت:

ـ اعذرني، انا متعبة جداً. سأتصل بك غداً. شكراً على هذا العشاء اللذيذ.

انتظر بيري ان تختفي سارة عن الانظار قبل ان يعود الى سيارته. لكنه لم ينتبه الى السيارة التي اقلعت وراءه. لكن لما وصل بيري الى منزله، انتبه الى سيارة توقفت على بعد امتار قليلة. هل هذه صدفة؟ فجأة ادرك ان لوك ايليوت لا شك وظف احداً يلاحق تحركات زوجته.

وخلال هذا الوقت، كانت سارة جالسة قرب سرير والدها تتمسك بيديه.

ثم أعلنت له من دون مقدمة:

ـ ابي، بيري يريد الزواج مني.

نظر اليها سام نظرة متسامحة وقال بسخرية لطيفة:

ـ كنت انتظر ذلك.

ـ لماذا لم تقل لي شيئاً؟

- يا ابنتي العزيزة، عندما يتصل بيري بك مرّات عديدة لا ارى غير سبب واحد لذلك.

اجابت بسخرية:

- صحيح؟ لكن ربما يكون السبب غير ذلك.

- لكن ما دام الامر يتعلق بك، فعليه احترامك.

- شكراً.

- اذن؟ ماذا كان جوابك؟

تنهدت ورفعت خصلة الشعر عن جبينها وقالت:

- لقد قبلت، شرط ان احصل على الطلاق.

- الطلاق؟

- طبعاً.

اعلن سام في الحال:

- لوك في لندن حالياً.

- اخبرني بيري بذلك.

- هل تنوين رؤيته؟

- كلا، ما دمت استطيع ان اتحاشاه. عندما يعود الى اميركا، سأطلب من السيد كلوف ان يكتب الى محاميه.

- هل تعتقدين حقاً انها الطريقة الفضلى، يا ابنتي العزيزة؟ لوك انسان ذو كبرياء، كما تعرفين.

- لا انكر كبرياءه. لقد تحملته مدة سنة بكاملها.

كان سام يتنفس بصعوبة ويبدو عليه التعب. قال:

- ومهما كان السبب يا حبيبتي، لا يجب الرجل ان يعلم بواسطة محاميه ان زوجته تطلب الطلاق.

- بعد سنتين اتساءل ما اذا كان يتذكر وجودي. فلم يكن يلاحظ حتى اننا كنا نعيش في المنزل نفسه.

- كان رجلا مشغولا جداً.

كان سام يجد دائماً عذراً للوك ايليوت. كان فخوراً وسعيداً عندما تزوجته واصبح الرجلان صديقين حميمين لأنهما فهما بعضهما بعضاً من النظرة الاولى.

انحنت الفتاة وقبّلت والدها وقالت:

- انت مرهق يا ابي. نم جيداً والى نهار الغد.

نظر اليها باستغراب وقال:

- تصبحين على خير يا ابنتي الحبيبة. رعاك الله.

وبينما كانت سارة تخلع ملابسها تأملت نفسها في المرآة. لقد نحلت كثيراً. وركاها ضيّقان كالرجال. قلقها على صحة والدها كان السبب الاساسي لهذا النحول. لقد عملت كثيراً وغالباً ما كانت تنسى ان تتناول الغداء وتكتفي بسلطة خفيفة في المساء. لكن النحول لم يكن يقلقها، اذ كان بالنسبة اليها مرادفاً للصحة والعافية. الاّ انها اليوم بدأت تقلق قليلا وقررت ان تأكل اكثر في المستقبل. فلا تتمنى ان تصبح نحيلة جداً.

تمددت في سريرها تنظر الى اشعة النور تعبر الغرفة كلما مرّت سيارة في الجوار. يا للصدفة عندما ترى لوك! كانت تتحاشى قراءة الصحف خوفاً من ان تقع على صورته او اسمه. الآن وجهه يلاحقها، لم تكن قادرة ان تبعده عن ذهنها. وبحركة غاضبة ضربت على الوسادة بمعصميها، لكن وجهه القاسي والمتعجرف ظلّ يلاحقها. ونامت من دون ان تتمكن من طرده من مخيلتها.

استيقظت في الصباح بعدما احست بيد تلمس كتفيها. فانتفضت وجلست في سريرها مندهشة.

ـ السيدة جينكيس؟ كم الساعة؟

نبض قلبها وافاقت جيداً ثم اضافت:

ـ ماذا جرى؟ هل ابي...؟

ـ آه! سارة..

فهمت سارة في الحال وجمد قلبها وشعرت بقشعريرة تعبر ظهرها. فنهضت مسرعة وارتدت مئزرها ثم خرجت من غرفتها فلحقت بها الخادمة قائلة:

ـ دخلت لايقاظه، لكنه لم يتحرك. وفهمت في الحال... وكانت صدمة مرعبة! كنت اعرف انه سيأتي اليوم... لكنني لم اكن اتوقع ذلك بهذه السرعة وبهذه الطريقة المفاجئة.

كان سام يبدو نائماً وفي وجهه السلام والصفاء. فناحت سارة بصوت مرتجف:

ـ آه، لم اودعه!

تنهدت الخادمة وهي تبكي وقالت:

ـ يبدو هادئاً.

تذكرت سارة حديثها الأخير وكيف نظر اليها باستغراب... هل كان يشك بأن نهايته قد قربت؟ وتذكرت كلماته الاخيرة «رعاك الله يا ابنتي».

قالت سارة بصوت غائب:

ـ يجب استدعاء جايسون.

ـ يمكن للأعمال ان تنتظر.

ابتسمت سارة وقالت:

ـ جايسون اعزّ صديق لسام. ويجب ان يكون هنا في مثل هذه الظروف.

ـ طبعاً، اعذريني، انا مضطربة.

ـ اعرف، وانا سعيدة لأنك اظهرت لوالدي المحبة والمودة.

ـ والدك رجل رائع، يا سارة.

ـ كان والدي يعي اقتراب نهايته. ولم يكن يريد ان يتحمّل غيره اعباء مرضه رغم انه كان يكره حالته المرضية.

عضت السيدة جينكيس على شفتيها وقالت:

ـ افهم ما تريدين قوله.

وبينما كانت سارة تدير رقم المكتب، كانت تفكر بوالدها، محاولة منع الدموع من الانهمار. وبدت لها الحياة فارغة. من الآن فصاعداً اصبحت وحيدة في العالم.

وعد جايسون بالحضور بعد ربع ساعة. وقال لها باصرار:

ـ لا تهتمي بشيء. هذا العمل ليس لك. سأقوم بالترتيبات اللازمة واعرف ما يجب فعله. انا ايضاً توفي والدي منذ سنتين.

ارتدت سارة ثوباً اسود واستقبلت جايسون الذي قبّلها على خديها واعلن قائلا:

ـ ماذا يمكنني قوله، يا عزيزتي؟ انا آسف جداً.

ـ شكراً، يا جايسون. انا سعيدة انه مات في نومه ولم يتسن له الوقت للشعور بالخوف. انها افضل طريقة لمغادرة الحياة.

ـ بالفعل، لقد قال لي مرّة انه يتمنى الاّ يتألم مباشرة قبل ان يموت.

ـ الطبيب في غرفته. لقد استدعته السيدة جينكيس.

ـ هل بامكاني استعمال مكتبه، يا سارة؟ انا بحاجة الى الهاتف. آمل الاّ تنزعجي من ذلك.

ـ ارجوك.

ـ امور كثيرة يجب المباشرة بها. سارة، ارجوك، اذهبي واحتسي فنجان قهوة، تبدين كالشبح.

ـ هل تأخذ معي فنجاناً؟

ـ بكل سرور، اشكرك.

دخلت الى المطبخ ووضعت ابريق القهوة على النار واخرجت الفناجين. سمعت جرس الباب وبعض الاصوات. لكنها لم تعط اي اهتمام بالامر.

فجأة انفتح باب المطبخ وراءها. فقالت وهي تعتقد انها تتحدث الى الخادمة:

ـ اصنع القهوة، هل تريدين فنجاناً؟

قال صوت عميق:

ـ شكراً.

تأرجحت حول نفسها، ووقع الفنجان من يديها وتحطم قطعاً على الارض. شحب وجهها وراحت تتأمل بذعر وجه الرجل المتعجرف الذي لم تحلم ان تراه من جديد.

٢- ظهور لوك يكشف حقائق مذهلة: فهو يملك نصف أسهم الشركة! والد بيري مستعد للنظر في موضوع شراء حصة لوك ولوك لا يمانع من حيث المبدأ. خيالها أخذها سنوات الى ليلة لقائه. . .

قال وعيناه الرماديتان تحدقان بالفتاة:

ـ أنا آسف لما حصل لسام.

أجابته بصورة آلية محاولة السيطرة على انفعالها بلياقة عفوية:

ـ شكراً.

ـ مات فجأة، أليس كذلك؟

ـ بالفعل. لقد فوجئت كثيراً. . .

كبتت ارتجافاً عميقاً قبل ان تضيف:

ـ لكن، ماذا تفعل هنا؟ ومن أعلمك بموت سام؟

ـ اتصل بي جايسون.

ـ وباي حق! الأمر لا علاقة له بك.

ـ كنت أحب والدك كثيراً وجايسون يعرف ذلك. جئت فقط لأسألك اذا كنت بحاجة الى خدماتي.

ـ آه، صحيح! أخرج من هنا في الحال.

ـ أنت ما تزالين الفتاة الصغيرة المدللة! أين جايسون؟ من الأفضل ان أكلمه، لأن لا جدوى في الحديث معك.

ـ لسنا بحاجة اليك. ارحل من هنا!

أجاب بصوت غير مبال:

ـ لديّ متسع من الوقت.

أدارت له ظهرها ووضعت بيدها المرتجفة بضعة فناجين على الصينية. فظهور لوك المفاجيء شوّش سكونها. ما زال كما عرفته: الرجل القاسي الواثق من نفسه... ولا مجال للتعامل معه لأنه يشبه آلة خالية من النبض الانساني.

ـ لقد نحلت وهذا لا يليق بك.

لهجته الحميمة أيقظت فيها الريبة والحذر، فأجابته من دون ان تنظر اليه:

ـ الباب خلفك.

تقدم منها خطوتين وأصبح قربها. فوضع يديه حول خصرها وأرغمها على الاستدارة والنظر اليه مباشرة وقال:

ـ لا تديري ظهرك، يا سارة. لا أحب هذا السلوك.

نظرت اليه بوقاحة محاولة التخلص من قبضته وقالت:

ـ لا يحق لك ان تنصحني! كما لا أحب ان تلمسني.

ـلكنك في الماضي كنت تحبين ذلك... هل نسيت؟

ـ لقد نسيت كل شيء.

لمع بريق حقد في العينين الزرقاوين فأجابها:

ـ هذا ما سنتأكد منه.

جذبها بين ذراعيه كالدمية وعانقها. وما ان أحست بحضوره الرجولي حتى بدأ قلبها ينبض بجنون واجتازتها قشعريرة في كل انحاء كيانها. راحت ترتجف شاعرة بانفعال كبير طالما كبتته ولم تعد تتذكر بيري. فالانجذاب الحسي القوي كان دائماً ارتباطهما الوحيد، حتى في أيام زواجهما الحزينة القاتمة. حتى الحقد والبغض والكراهية لم تتمكن من تحطيم هذا الانجذاب.

تخلصت على مضض من قبضته وصرخت فيه بمرارة:

ـ هل تعتقد حقاً انه سيغمى عليّ من فرط الحب؟ أنت مخطىء يا لوك. لقد أصبحت الآن فتاة ناضجة وتغيرت لأنني أعرف الآن ما أريد.

ابتعد عنها ووضع يديه في جيبيه، ورفع رأسه الى الوراء يراقبها وابتسامة ساخرة على شفتيه.

ـ اذن، ماذا تريدين، يا سارة؟

ـ الطلاق.

لم يفاجأ بل قال:

ـ وماذا بعد الطلاق؟ ستتزوجين من بيري دوريل؟

حدقت فيه باندهاش وقالت:

ـ من حدثك عن بيري؟

ـ والدك.

ـ والدي؟ متى؟

ـ الليلة الفائتة، عندما كنت تتناولين العشاء مع فارس أحلامك.

- اغتنمت غيابي... ولا يدهشني سبب ارهاق والدي بعد عودتي.

قال باحتقار واشمئزاز:

- تريدين ان تضعي اللوم عليّ وتتهمينني بموته؟

بخجل أدارت رأسها وقالت:

- المعذرة، لم أعد أعرف ما أقول.

- وتعتبرين نفسك ناضجة؟ أرى ان الطفولة ما تزال فيك.

سألته بعد ان احمرّ وجهها:

- ولماذا جئت الى هنا، الليلة الفائتة؟

- كان سام يعتقد ان حياته أشرفت على نهايتها، هذا ما قاله لي، وأردت ان أراه من جديد. وما ان جلست في مقعد سيارتي على استعداد للرحيل، حتى وصلت أنت برفقة دوريل.

عبق وجهها لدى تذكرها عناق بيري. فقال لها:

- كنت باردة كالثلج بين ذراعيه...

لمع بريق حقد في نظرات سارة، فأجابت بسرعة لاخفاء انزعاجها:

- أمس، كنت متعبة... قلقة بما يخص والدي. اعتقد انه كان يعرف... لقد نظر الي بطريقة غريبة قبل ان يتمنى لي نوماً سعيداً.

- كان دائماً يتمنى ان يموت في نومه.

- كان متعباً حتى الارهاق.

أزاحت نظرها غير قادرة على تحمل الحنان المنبعث من وجه لوك الذي تناول الصينية ثم أخذ فنجاناً اضافياً من الخزانة. ألم تكن مقررة ان تطرده منذ البداية؟ لكنه ما زال هنا. ما هو السر الذي

يحمله؟ عندما يقرر شيئاً ما فانه يحطم كل ما يقع في درب تحقيق هذا القرار. انه يعتقد ان النجاح أمر حتمي.

وضع الصينية على طاولة صغيرة، وتناول فنجاناً وسكب فيه القهوة. فقالت:

- أضف حليباً وسكراً لجايسون.

أجاب جايسون:

- كلا، آخذها سوداء.

فقال لوك بصوت ناعم وهو يتجه نحو الباب:

- أنا الذي أشرب القهوة مع الحليب والسكر، اذا كنت تتذكرين.

سكبت سارة فنجاناً وأضافت اليه السكر والحليب، عندما لاحظت انها تفعل تماماً ما ينتظر منها. وتوجهت الى النافذة لا مبالية بجمال المنظر تحت السماء المشمسة.

دخل لوك الى الغرفة وجلس على المقعد من دون ان ينتبه الى وجودها. فقالت له:

- ماذا تفعل هنا؟

- لقد سبق أن أجبتك على هذا السؤال. سام عمي وصديقي. هل تعتقدين انني لم أعد أحبه وأحترمه لمجرد ان تركتني؟ كنت على اتصال دائم به خلال السنتين الاخيرتين.

لم تخف سارة اندهاشها اذ قالت:

- لم أكن على علم بالأمر. لم ينطق أبي بكلمة في هذا الشأن.

- سام رجل ناضج وليس بحاجة ان يحدثك بكل شيء.

- أنا مندهشة لأنه لم يفعل ذلك.

هز لوك كتفيه وقال:

- في الأشهر الأولى، لم يكن يجرؤ ان يلفظ اسمي أمامك.

احمرّت الفتاة. انه على حق. كانت ترفض ان تسمع اسمه.

كان يحتسي القهوة برضى ويقول:

- القهوة لذيذة. اشربيها وهي ساخنة.

جلست ورفعت الفنجان الى فمها، وشعرت فجأة بالجوع. وكأنه قرأ ما يجول في خاطرها، سألها:

- هل تناولت فطور الصباح؟

- لقد نسيت.

قال وهو ينهض واقفاً:

- يجب عليك ان تأكلي. تعالي الى المطبخ، سأصنع لك بيضاً مقلياً.

أرادت الاحتجاج لكنه كان قد خرج من غرفة الجلوس واضطرت الى اللحاق به.

خلع سترته ورفع اكمامه، ثم فتح البراد وأخرج منه البيض والحليب والزبدة والخبز. جلست في الكرسي وراحت تنظر اليه. كانت ترغب في ان تؤذي نفسها لتتأكد من انها لا تعيش حلماً. هل هي حقاً في المطبخ، في منزل والدها، بينما يقوم لوك ايليوت بتحضير الفطور لها؟

بعد لحظات وضع امامها صحناً ووضع فوقه البيض المقلي والخبز المحمص. وقال آمراً بعد ان سكب لها فنجاناً من القهوة:

- كلي هذا. منذ سنوات ولم تأخذي فطوراً مناسباً. يكفي النظر اليك!...

بدأت تأكل ببطء، الدمع ينهمر على خديها وهي تمسحه بطرف يدها. وبعد ان غسل لوك الابريق والمقلاة راح يتأملها ثم اقترب منها وأخذ رأسها بقوة وأحناه على صدره وراح يعبث بشعرها الأشقر الرمادي حتى أصبح مشعثاً.

ثم صرخ بها مؤنباً:

- من أجل السماء، يا سارة. لا تبكي.

- ... سأشتاق اليه كثيراً.

وأجهشت بالبكاء بصوت مرتفع. بكت مطولا بين ذراعيه، ثم مسحت جفنيها المبللتين ونهضت واقفة:

- أنا آسفة. شكراً على هذا الفطور اللذيذ. اعذرني، يجب ان اتصل ببيري.

لم يحاول لوك منعها. وبينما كانت تقفل الباب وراءها فوجئت بنظراته السرية تحدق بها.

وعد بيري بالمجيء في الحال بعد ان عرف الخبر واقترح عليها قضاء بضعة أيام في منزل والديه.

شكراً، هذا أمر يفرحني.

توقفت لحظة ثم قالت:

- هناك أمر ما يا بيري.

- ماذا؟

- لوك هنا.

- في منزل والدك؟ لقد نجحت في الاتصال به.

- كلا، جايسون أعلمه بموت والدي وجاء للتعزية.

- متى وصل؟

شعرت بغيرته وأجابت بصوت مطمئن:

ـ لقد وصل لتوّه.

ـ هل... هل سينام في المنزل؟

ـ طبعاً لا. لن يتأخر في الذهاب. جاء فقط ليقدّم لسام الوداع الأخير.

بعد صمت قال بيري:

ـ لا شك ان صدمتك كبيرة... لكن... ألا تشعرين بأي شيء تجاهه؟

ـ بلى، أشعر بالحقد عليه. لقد سبق أن قلت لك ذلك.

أطلق بيري زفرة ارتياح ووعدها قائلا:

ـ سأصل في الحال، أعرف ان الوقت غير مناسب، يا حبيبتي، لكن هل استطعت التلميح له عن رغبتك في الطلاق.

ـ نعم.

ـ وماذا كانت النتيجة؟

ـ لم يعلّق على ذلك.

ـ لنأمل ان تأخذ الفكرة طريقها.

أقفلت سارة الخط والتفتت وراءها. كان لوك مسنداً على طرف الباب، مكتف اليدين وابتسامة ساخرة على شفتيه. فقالت له هازئة:

ـ أصبحت تتجسس عليّ الآن.

قال بوقاحة:

ـ هذا مفيد أحياناً. يريدك ان تطلقي بأسرع ما يمكن، أليس كذلك؟

ـ طبعاً. يريد الزواج مني.

ـ طبعاً.

ـ هل أنت موافق على الطلاق؟

هزّ كتفيه وقال:

ـ سؤالك يتطلب تفكيراً طويلا. وهذا غير مناسب الآن، لا المكان ولا الزمان.

انه على حق، هذا الموضوع في غير محله بينما يرقد ضريح سام في المنزل.

توجهت الى الباب لكن لوك لم يتحرك. رمقته بنظرة متوترة وقالت:

ـ هل يزعجك ان تدعني أمرّ؟ عليّ ان أتحدث الى جايسون.

ابتعد عن الباب بهدوء. ولما دخلت المكتب كان جايسون يقفل سماعة الهاتف. ابتسم لما شاهد لوك وراءها ومد يده اليه وقال:

ـ أنا سعيد لرؤيتك، حتى في مثل هذه الظروف الحزينة.

ـ شكراً لأنك اتصلت بي. لولاك لما فكر أحد بي.

ارتبك جايسون واستدار صوب الفتاة وقال:

ـ كل شيء نظّم كما يجب. لكن هناك مشكلة واحدة.

ـ وما هي؟

ـ الصحافة. موت سام ربما سبّب انعكاساً على أسعار الأسهم.

قالت سارة في الحال:

ـ معظم الأسهم باسمي.

ـ بالفعل، لكن لوك يعتقد...

قاطعته وهي ترمق زوجها بنظرة استغراب وقالت:

ـ لوك؟ وما دخل لوك هنا؟

احمرّ جايسون وتلعثم قائلا:

ـ الحقيقة... لقد فكرت...

أدركت ان شيئاً ما قد أخفي عنها فقالت:

ـ بماذا فكرت؟ هل تريد ان تقول ان لوك يملك أسهماً في الشركة؟

نظر جايسون الى لوك وقال:

ـ أنا آسف، لقد نسيت ان سارة تجهل كل شيء. لقد نسيت ان...

سألت المرأة بصوت هادىء:

ـ وأخيراً، عم تتكلم؟ لوك، ربما تتنازل أنت وتعلمني بما يحدث هنا؟

ـ طبعاً، لكنني أفضّل ان أشرح لك الامور عندما نكون وحدنا.

قال جايسون من دون ان يجرؤ على النظر الى سارة:

ـ في كل حال، كنت في طريق الذهاب. عليّ ان أذهب الى المكتب. عندما يصدر نبأ وفاة سام، ستنهمر المكالمات... اذا كنت بحاجة الي...

أشارت برأسها ايجاباً وتوجه جايسون الى الباب، ثم التفت بها مجدداً وقال:

ـ أنا... أنا آسف.

وما ان خرج حتى صرخ لوك باحتقار:

ـ لقد سببت الآن توتراً لرجل كرّس معظم وقته لعائلتك، هل أدركت ذلك؟ لقد ارتكب خطأ لكنه لم يكن ينوي ان يجرح شعورك.

ـ لا تقلق عليه. سأراه في وقت آخر. حدثني عن الأسهم التي تملكها.

بدأ لوك يقول بصوت غير مبال:

ـ عندما عرف سام، لأول مرة، عن خطورة حالته الصحية، كان قد باشر بتعهد لبرنامج واسع للاستثمارات. ولما عرف اصحاب المصارف بخبر مرضه، سحبوا قروضهم، وأوشك سام على شفير الافلاس.

ـ يا الهي! هذا تصرف شنيع تجاه رجل مريض!

ـ أصحاب المصارف مسؤولون عن أموال زبائنهم. وبالنسبة اليهم، الشركة وسام يشكلان واحداً لا يتجزأ. لو مات سام حينذاك، لكانوا خسروا توظيف أموالهم. لذلك اضطروا الى اختيار سلوك حذر ومتيقظ لارضاء زبائنهم.

ارتسمت ابتسامة صفراء على وجه لوك الذي أضاف يقول:

ـ كنت قد هجرتني، في هذه المرحلة، وكان أصحاب المصارف على علم بالأمر. لو كنا ما نزال معاً، لما رجعوا عن وعدهم وكانوا وثقوا بي. لكن، في ذلك الوضع، لم يكونوا مقتنعين بالضمانات التي قدمها سام اليهم. فانخفض سعر الأسهم وكان سام على وشك ان يبيعها بخسارة.

أكملت عنه، بمرارة اذ قالت:

ـ ولذلك اشتريت جزءاً من الأسهم وأعطيته بذلك المال. لم تقدمها له هدية، أليس كذلك، يا لوك؟

لمعت عيناه وقال:

ـ لا تدعيني أفقد اعصابي يا سارة. انا افعل كل ما في وسعي لئلا أغضب، فأنت متأثرة جداً الآن بموت سام، لكنني لست برجل صبور. اذن لا تستلذي بشتمي.

رفعت ذقنها للتحدي وقالت:

ـ لن تمنعني من قول ما أفكر به! اذن باعك سام بعض الأسهم. فما هي حصتك اذن؟

أجاب بلا مبالاة:

ـ خمسون في المئة من الأسهم.

ظلت خرساء من شدة الدهشة، ثم تغلّب الغضب عليها وقالت:

ـ خمسون في المئة؟ هذا يعني انك تسيطر على الشركة؟

أكد لها بصوت منخفض:

ـ بالطبع.

ـ لماذا؟

لم تعد قادرة على مواصلة الكلام. لكنها رمقته بنظرة حقد واشمئزاز وقالت:

ـ دائماً تنتهي بالربح، أليس كذلك، يا لوك؟ هذا ما تسميه اللعبة الصريحة. حتى مؤسسة والدي... تأخذها مني...

غضب وقال:

ـ لا آخذ شيئاً منك. لقد شرحت لك الأمر، لقد انقذت سام من الافلاس.

ـ لكان وجد طريقة أخرى للخروج من هذه المحنة. أنا أكيدة من ذلك.

ـ انت حرة ان تفكري ما تريدينه، يا سارة، لا يمكنني ان أمنعك من ذلك. لكن حان الوقت كي تنظري الى الأمور بشكل مباشر. المصارف كانت على حق. لا أنت ولا جايسون بامكانكما ان تحلا

مكان سام. حتى بجهدكما المتواصل، لستما قادرين ان تجعلا الشركة تزدهر. انتما ذكيان وتعملان بجدية، لكنكما لا تتمتعان بذكاء وفطنة سام. كي ينجح المرء في المؤسسات العملية المرتكزة على حركة البورصة، يجب ان يتمتع بطبيعة المراهن، لأجل ان يحقق ارباحاً طائلة. سام وحده يتمتع بذلك.

أجابته بلهجة باردة:

ـ شكراً. اذن قررت التخلص منا؟ منذ الآن، اقدم استقالتي. في كل حال ارفض العمل من أجلك وأفضل ان أموت من الجوع!

ـ كفي عن هذا التصرف الأحمق!

رن جرس الباب، أسرعت سارة لتفتحه وارتمت بين ذراعي بيري، مجهشة بالبكاء.

ـ بيري، حبيبي... أنت هنا أخيراً.

اندهش بيري وفرح وضمها اليه وطبع قبلة على رأسها وقال:

ـ يا سارتي الصغيرة. أنا آسف لوالدك. لقد اتصلت بأمي وهي بانتظارك متى شئت ذلك.

لاحظ بيري فجأة وجود لوك، فشد على قبضته وفهمت للحال سبب هذه الحركة الغريزية. رفعت رأسها وظلت متمسكة بذراع بيري. ثم أدارت رأسها ورمقت لوك بنظرة بادرة وقالت:

ـ بيري، أقدم لك لوك ايليوت. لوك، هذا بيري دوريل.

نظر بيري الى لوك بتفصيل وقال:

ـ صباح الخير، انا سعيد للتعرف اليك.

ـ صباح الخير! اذن أنت دوريل؟

احمرّ بيري للهجة لوك الحقيرة وقال:

ـ نعم. أنا دوريل وأريد الزواج من سارة.

قال لوك بهدوء:

ـ سارة ما تزال زوجتي.

ـ ليس أسهل من الطلاق اليوم.

ابتسم له لوك بوقاحة، من دون ان يرد عليه. ثم نظر الى سارة وخاصة الى ذراع بيري التي تحيط بخصرها، ثم رفع نظره الى وجهها الأحمر المبلل دمعاً وقال:

ـ سأراك في الدفن.

كان صوته بارداً. توجه الى المدخل من دون ان يضيف كلمة وصفع الباب وراءه.

قال بيري:

ـ بدأت أفهم مشكلتك. هذا الرجل متعجرف وغير لائق ووقح للغاية. هل هو دائماً هكذا؟

قالت بمرارة:

ـ دائماً. آه، يا بيري! انه يملك خمسين في المئة من أسهم الشركة!

ـ يا الهي خمسون في المئة!

ـ باعها سام له، منذ سنتين ولم أعرف بذلك الا اليوم.

قطب بيري حاجبيه وقال:

ـ الأمر شديد الخطورة. لم نكن نرغب في ان يتدخل لوك بشؤوننا، أليس كذلك؟

ـ كل تدخل من قبله أمر مستحيل تحمّله. لا يمكنني أبداً ان أعمل من أجله. وكيف اذا كان يملك نصف أسهم الشركة... هل تعرف

ماذا سيحل بي؟ يجب لوك ان يتصرف بحرية عندما يستثمر في عمل ما. سيتدخل لأقل الأمور ولن يبقى لي الا ان أقدم استقالتي. لقد فعلت ذلك، لكنه لم يبال بالأمر. لا شك انه لم يأخذ كلامي على محمل الجد.

ـ لا تقدمي استقالتك يا حبيبتي، سأتحدث بالأمر مع والدي. ربما يستطيع ان يشتري حصة ايليوت.

ابتسم لها وأضاف:

ـ وهكذا ستكون القصة ضمن العائلة. ومتى تزوجنا، ستكون حصتنا.

سألته بتعجب:

ـ هل أنت متأكد من ذلك؟ آه بيري! هذا أمر رائع!

لمعت عيناها فرحاً وغبطة، وأضافت:

ـ آه، لو استطيع اخيراً ان أفقده نظرته المكتفية!

ـ لا شك ان والدي سيطلب دفاتر المحاسبة ليدقق فيها. لم يسبق ان اشترى شيئاً بعينين مقفلتين.

ـ طبعاً. سأطلب من جايسون ان يقدّم دفاتر المحاسبة لوالدك. فالمحاسبة مجال جايسون وهو رائع ومنهجي. الدفاتر حاضرة تحت الطلب، وأنا أكيدة من ذلك.

ـ عظيم. للأسف سنضطر للحصول على موافقة لوك، بما انه صاحب الأسهم الأساسية.

ـ سيكون ذلك موضوع حديثنا في اللقاء المقبل.

ـ انتظري حتى أكلّم والدي. لا يمكنني ان أؤكد لك موافقته قبل ان استشيره.

ـ هذا امر بديهي. سأنتظر ان تعطيني الاشارة الخضراء.

أخذها بيري بعد قليل الى مطعم في الجوار للغداء وأرغمها على تناول الطعام. ثم أعادها الى المنزل وتركها ليعود الى مكتب عمله. وقبل ان يرحل قال لها:

ـ لا تنسي ان والدتي متّكلة عليك.

بدا المنزل فارغاً عندما دخلته. وانهمكت طيلة فترة بعد الظهر، مع السيدة جينكيس في الرد على الهاتف وسماع كلمات التعازي من الأصدقاء. ولم يكف عقلها عن استرجاع ذكريات الطفولة. ولما خف العمل، دخلت الى غرفتها لتحضر حقيبتها ثم أخبرت السيدة جينكيس عن قرارها قضاء بضعة أيام في منزل آل دوريل.

ـ انها فكرة جيدة. ستشعرين معهم بتحسن بدل البقاء هنا في الفراغ وحيدة. لا تقلقي سأهتم بكل شيء.

ـ شكراً جزيلا، يا سيدة جينكيس. لا أعرف بعد ماذا سأفعل بالمنزل. لكنني افضل ان تبقي حتى آخذ القرار بذلك.

ـ طبعاً. هذا يناسبني تماماً.

اتصل بيري بسارة ليعلمها بتأخره في المجيء وقال معتذراً:

ـ لدي موعد هام مع مقاول ولا يمكنني ان ألغيه أو أؤجله الى يوم آخر. لكن لدي خبر سار. لقد تحدثت مع والدي باختصار وبدا مهتماً لمراجعة دفاتر المحاسبة. يمكنك اذن ان تحدثي ايليوت بالأمر وتري ردة فعله.

قالت بحماس:

ـ سأفعل ذلك في أقرب وقت ممكن. شكراً، يا بيري، فأنا

متشكرة لك كثيراً.

قال ضاحكاً:

ـ لديك كل الوقت لتبرهني لي عن ذلك.

ولما أقفل الخط ظلت حالمة. ثم اتصلت بالهيلتون وطلبت جناح لوك. وقالت بصوت حاد:

ـ لوك، هذه سارة. تحدثت منذ قليل مع بيري وتساءلنا ما اذا كنت تقبل ان تبيع اسهمك لوالده.

بقي لوك لحظة صامتاً ثم أعلن أخيراً بصوت هادىء:

ـ سأفكر بالأمر. لا أرفض ابداً عرضاً مهماً. كم يدفع؟

ـ ينتظر ان يرى دفاتر الحسابات.

ـ اطلبي من جايسون ان يحضّرها. وأنا أحب بدوري ان ألقي نظرة عليها.

ـ حسناً.

فوجئت بردة فعله. وبعد صمت قصير، سألها بلهجة فردية:

ـ هل هذا يعني انك قبلت دعوة آل دوريل؟

ـ نعم.

ـ افرحي واستريحي، يا سارة. الى اللقاء.

أقفل الخط بسرعة. هذه عادته ان يختصر الحديث بسرعة.

جلست على طرف النافذة وراحت تتأمل الحديقة. حل الليل وبدأت المناظر تضيء. فأرسلت لمخيلتها العنان وتذكرت لقاءها الأول بزوجها خلال سهرة باريسية. كانت زيارتها الأولى لباريس وكان فرحها بها كثيراً. وبمناسبة حفلة الاستقبال ارتدت فستاناً طويلا من المخمل الكريمي، عالي الخصر، صممته خصيصاً لمناسبة زواج

صديقة لها قبل اسبوع. اعدّ لوك يومئذ استقبالا رائعاً. وراحت سارة تراقبه وهو يحتسي عصير الفاكهة. لم تفكّر لحظة واحدة انه لاحظها. غير انه فجأة اصبح قربها انيقاً ببزته السموكينغ. لمعت عيناه الرماديتان وقال بلطف:

ـ تبدين حالمة.

قالت مبتسمة:

ـ أتسلى كثيراً.

ـ تعالي لنرقص.

كان امراً. وضع كأسه جانباً وقادها الى حلبة الرقص. ومرت بقية السهرة كالحلم. كانت تعيش في غيمة ذهبية وتعي النظرات الحسودة وغير المصدقة التي كانت تحدق بها. لم تكن مكترثة بأحد طالما ذراع لوك حول خصرها وعيناه الرماديتان تحدقان بها بينما كانا يرقصان.

طرح عليها الأسئلة العديدة، عنها وعن عائلتها ولم تخف شيئاً عليه. كانت تعرف بالطبع من يكون. من كان يجهل لوك ايليوت؟ كان الرقم الأول في الزاوية الاجتماعية لمدة سنوات عديدة. ومع ذلك تجرأت في طرح العديد من الأسئلة عليه.

نشأ في عائلة فقيرة، وتسلّق سلم النجاح بسرعة غريبة. وساعد أخوته في أخذ مراكز مرموقة فقالت له:

ـ مثل نابوليون الذي وضع اخوته وأخواته على عرش اوروبا.

ـ لم أصل بعد الى هنا.

ـ ربما تصل يوماً من الأيام.

ـ ربما.

ـ أتساءل اذا كانوا يخافون منك؟

ـ لماذا؟

ـ لا اعرف.

ـ هل تعرفين انك امرأة جميلة وذكية ايضا.

ولما عادت الى لندن أدركت انها وقعت في حبه. ولحق بها لوك الى لندن.

بعد أسابيع، تزوجا وسافرا معاً الى الولايات المتحدة الاميركية. ودام شهر العسل ثلاثة أشهر. كان حلماً طويلا ويقظاً، جنة حقيقية، تدفع ثمنها اليوم قلقاً ويأساً وقنوطاً.

٣ - قنبلة جديدة تنفجر في وجه سارة. ثقتها المطلقة بجايسون لم تكن في محلها فقد اختفى جايسون لدى طلب لوك رؤية الدفاتر وتبيّن انه لم يكن اميناً... ثم سافر لوك بسرعة فائقة!

جاء عدد كبير من اصدقاء سام الى منزله للوداع الاخير ولتقديم التعازي لابنته الوحيدة سارة. وكان معظمهم يعرفونه من زمان، وجوههم تعبر عن الحزن والاسف لموت هذا الرجل الذي ما زال في سن الشباب. سارة الشاحبة في لباس الحداد تتنقل من مجموعة الى اخرى، شاكرة الجميع بابتسامة خفيفة وبعض الكلمات اللطيفة، اما بيري وعائلته فكانوا جالسين قرب المدفأة ينظرون اليها بقلق وأسى.

همست السيدة دوريل تقول قلقة:

- تبدو سارة في حالة يرثى لها.

تنهّد السيد دوريل وقال:

- لا شك ان وفاة سام كانت صدمة كبيرة لها. كانت تعزه معزة صديق وأب وأخ، وستتألم لفقدانه. انا مسرور، يا بيري، انك دعوتها لقضاء بعض الوقت في منزلنا. فالجو العائلي أهمّ ما تحتاج اليه في الوقت الحاضر.

قال والده مقطّبا الحاجبين:

- ولوك ايليوت ليس احمق بكل تأكيد. اتساءل ما هي نيته.

- قالت لي سارة انه من الصعب العيش معه. واخطأت عندما اعتقدت انها تبالغ.

تبادل والداه النظرات القلقة وتنهدت السيدة دوريل. فهي تحب سارة حباً كبيراً وتأمل في ان تصبح كنّتها لتساعد بيري على الاستقرار وتأسيس عائلة، فهي تتمنى تدليل اولاد ابنها بعدما دللت اولاد بناتها.

اما سارة فكانت تشعر بالارهاق. الايام الاخيرة كانت صعبة جداً. نظرت الى النافذة ورأت السماء الرمادية الملبدة بالغيوم السوداء التي تهدد بالعاصفة. ارتعشت واصبحت تتمنى ان ترى جميع الناس المحبين يغادرونها لتلجأ الى الراحة والسكينة.

اخيراً قرر الجميع الذهاب. فودّعوا الفتاة التي شعرت بارتياح. ولم يبق معها سوى آل دوريل وجايسون والمحامي.

نهض المحامي وقال بلطف:

- يا ابنتي اتصوّر انك تفضّلين الانتظار حتى نهار الغد لقراءة الوصية.

- طبعاً.

ثم نهض جايسون بدوره وقال:

ـ وانا كذلك يجب ان اعود الى منزلي، يا سارة. لا شك انك ستأخذين بعض العطلة، اليس كذلك؟

ـ نعم في الاسبوع المقبل. لكنني سأمرّ الى المكتب في الغد. انا اكيدة ان العمل كثير ولا داعي ان تواجهه وحدك. ستكون منشغلا في تحضير دفاتر المحاسبة.

ابتسم جايسون وقال:

ـ لا تفكّري بالامر. افضّل ان ترتاحي الآن، اذ يبدو عليك الارهاق والتعب.

قالت السيدة دوريل فجأة:

ـ هذا صحيح، يا عزيزتي سارة. يجب ان ترتاحي.

اضاف السيد دوريل بلطف:

ـ لست مستعجلا للاطلاع على دفاتر المحاسبة. بامكاني الانتظار اسبوعاً او اسبوعين.

ـ لكن انا لا استطيع الانتظار.

صدر هذا الكلام عن لوك ايليوت الذي كان واقفاً على عتبة الباب. نظر الى الجميع بمرح وقال:

ـ قدميني يا سارة، من فضلك.

احمرّت المرأة وقامت بالتعريف بصوت مرتجف.

اقترب مايكل دوريل في الحال ومدّ يده وابتسامة تهذيب على شفتيه.

سأله ايليوت بعد ان سلّم عليه:

ـ هكذا اذن، تريد شراء اسهمي؟

تدخل بيري بوقاحة وقال:

ـ كهدية العرس لسارة ولي.

انصدم والداه لهذه الوقاحة ونظر الى لوك الذي لم يتأثر ظاهرياً بالامر. حاول السيد دوريل تخفيف حدة التوتر وقال:

ـ اذا اردت ان تبيع اسهمك، اكون قد حققت استثماراً جيداً. واتصوّر انك تنوي بيع حصتك بسعر معقول.

ردد لوك قائلا:

ـ بسعر معقول. حسناً! سنرى ذلك عما قريب.

ثم التفت الى جايسون الذي ظلّ صامتاً وقال:

ـ الى صباح الغد، في الحادية عشرة، في المكتب، يا جايسون.

ومن دون ان ينتظر رده، تابع يقول موجهاً حديثه الى آل دوريل:

ـ والآن، لديّ اعمال شخصية مع سارة، واذا سمحتم ان تعذرونا...

نهض آل دوريل بانزعاج وجددوا تعازيهم لسارة وهم يتوجهون نحو الباب. شكرتهم الفتاة بلطف. كانت تود ان يذهبوا حتى تتمكن من اعطاء رأيها للوك عن تصرفه الوقح.

وكان بيري آخر من قرر الذهاب. امسك بيد سارة وقال باستغراب:

ـ يا الهي! بامكاني ان افكّ عنقه! لا تدعيه يخجلك، يا حبيبتي. هل تريدين ان ابقى هنا حتى رحيله؟ لا احب ان ادعك وحدك معه.

قالت مبتسمة:

ـ لا تقلق. صحيح انه ديكتاتور لا يطاق، لكنه ليس بمجرم! شكراً لعرضك هذا، فهو يشرفك.

وقفت على رؤوس اصابعها وعانقته فأمسكها بين ذراعيه وبادلها

العناق بشغف. تخلصت من قبضته ودفعته نحو الباب وقالت:

ـ سأذهب لموافاتك متى رحل.

اتكأت على الباب لتستعيد قواها لمجابهة لوك. ولما دخلت الصالون كان ينظر من النافذة الى سيارة آل دوريل وهي تبتعد. ثم التفت بها ورمقها بنظرة باردة. اقترب منها بعد ان اخرج من جيبه منديلا ابيض وقال:

ـ حمرة شفاهك طافحة.

وقبل ان تتمكن من الابتعاد، كان قد مسح شفتيها بحركة عنيفة كأنه يريد ان يمحي آثار عناق بيري.

انفجرت سارة مبعدة ذراع لوك:

ـ كنت قليل التهذيب مع آل دوريل.

ـ قليل التهذيب؟ انا؟

ـ ولماذا هذه النظرات المندهشة؟

ـ الذي تصرف بوقاحة هو صديقك عندما تكلّم عن هدية العرس. الا يعرف انك ما تزالين زوجتي...

ـ زوجتك؟ منذ سنتين ونحن لا نعيش معاً. لماذا تريد من بيري ان يمثل؟

ـ انا ما ازال زوجك.

ـ كفّ عن هذه المسرحية. متى تقبل الطلاق؟

ـ لنبدأ بتسوية الامور اولاً. ما هي خططك؟ لا شك انك تحدثت عنها مع سام. فأسعار البورصة انخفضت في الأيام الاخيرة، لكنها سترتفع في النهاية. اذا اردت تطوير الشركة، يجب الاستثمار. ما هو المبلغ الذي تملكينه؟

ـ لا اعرف. هذا شأن جايسون.

هزّ رأسه وقال:

ـ الظاهر انك توكلين له كل المهام.

ـ ولم لا؟ كان والدي يثق به كلياً.

ـ اعرف ذلك. اذن، غداً سأتمكن من اخذ القرارات المطلوبة. قراءة الوصية ستتم غداً في العاشرة، اليس كذلك. موعدنا في العاشرة.

تنهدت ثم قالت:

ـ سأتصل بالمحامي لأرى اذا كان هذا الوقت يوافقه. لكن وجودك ليس ضرورياً.

نظر اليها بسخرية وقال وهو يتوجه نحو الباب:

ـ سنتكلم بالامر في وقت لاحق. الى الغد.

نظرت اليه غير مصدقة. لم يبق الاّ خمس دقائق. لماذا جاء اذن؟ لماذا طلب من آل دوريل الذهاب؟ لماذا يريد ان يكون حاضراً عند قراءة الوصية؟ لماذا هذه الملاحظة الغامضة بما يخص جايسون؟ ارتمت في مقعد قريب واغمضت عينيها. آه، لو لم تكن متعبة!

استقبلتها السيدة دوريل بحرارة ثم قالت لها:

ـ اذهبي واستريحي قليلا في غرفتك. تبدين شديدة الارهاق. سأجلب لك فنجاناً من الحليب الساخن. فبامكانك ان ترتدي مئزرك وتنسي العالم كله.

ابتسمت لها سارة بأمتنان فهي تحب هذه المرأة الحنونة الرؤوفة حباً كبيراً، لانها تذكرها دائماً بوالدتها التي فقدتها منذ الصغر.

ـ آه، شكراً. انها فكرة رائعة! انا حقاً شديدة الارهاق وغير قادرة

ان افعل شيئاً. هناك الدفن و. . . انني ارتعد برداً.

وضعت السيدة دوريل ذراعاً حول كتفي سارة وقالت:

ـ عليك ان تأخذي الاشياء واحدة واحدة، يا ابنتي الصغيرة. اذهبي اذن واسترخي وسأصعد لموافاتك بعد خمس دقائق.

خلعت المرأة ملابسها واندسّت في السرير. الشراشف نظيفة والغطاء سميك ودافىء. شيئاً فشيئاً بدأ النعاس يحتلها.

دخلت السيدة دوريل على رؤوس اصابعها حاملة فنجاناً في يدها فشكرتها سارة بصوت ناعس:

ـ شكراً جزيلا.

ـ اشربي الحليب قبل ان تنامي. فأنت بحاجة الى الغذاء. لا شك انك لم تأكلي شيئاً طيلة النهار.

جلست سارة وجرعت السائل الكريمي كأي فتاة مطيعة. ثم تمددت من جديد ووضعت يداً تحت خدّها ونامت في الحال.

حلمت بأنها تمشي على حافة صخرة منحدرة والريح تعصف بعنف وسط الغيوم المتلبدة السوداء، كادت سارة ان تلمسها بيدها لشدة انخفاضها. ثم سمعت خطوات حصان على الارض، فالتفتت ورأت حصاناً اسود يتجه نحوها، مقترباً من الهوة، فتجمّد قلبها رعباً. وفي كل لحظة كان الحصان والرجل الذي يمتطيه على وشك السقوط في الهوة. فجأة، اصبح الحصان قربها، وانحنى الرجل ليحملها ويضعها على الحصان قربه. وكان هذا الرجل لوك نفسه. فجأة لمع البرق في السماء وعصف الرعد. ضحك لوك ضحكة شيطانية، فغطت وجهها بالاحتماء فيه وراحت تصرخ من الرعب. أكمل الحصان طريقه وكانت سارة تتوسل الى لوك ان يقف.

ولما توقف اخيراً، رفعت رأسها وراحت تتأمله لكن الرجل لم يكن لوك.

فالرجل الذي كان ينظر اليها بنظرات تهديدية كان رجلاً غريباً، لا تعرفه. اقترب وجهه ببطء وفتح فمه. اما هي فكانت مشلولة كأرنب سحره ثعبان. ولما وضع فمه على فمها، تمكنت من القفز ارضاً وراحت تركض مسرعة.

الريح تعصف بالعشب، والامواج تتكسر على الصخور والنوارس تحلّق في السماء الرمادية مطلقة اصواتاً رهيبة وفجة.

وبينما كانت تركض راحت تنادي بصوت مرتفع: «لوك». فجأة لمحت مغارة غامضة فوقها وكان لوك واقفاً في مدخلها. حاولت التسلق اليه، لكن قدميها انزلقتا وسقطت على الارض.

واستيقظت وهي تشهق بالبكاء وفتحت عينيها، كانت الغرفة مغمورة بالظلام. لكن سرعان ما غطّت بنوم هادىء من جديد. ولما استيقظت، كانت تشعر بالراحة والانتعاش. القت نظرة الى ساعة يدها: كانت التاسعة. شعرت بجوع قوي وتساءلت بقلق ما اذا كانت ربة المنزل قد وضعت حصتها من العشاء على حدة.

وبينما كانت تواجه هذه المشكلة، انفتح الباب وظهرت كاتلين في عتبته. ابتسمت عندما رأت سارة مستيقظة.

ـ عظيم! بدأنا نشعر بالقلق عليك. هل تريدين ان اصعد لك صينية العشاء؟ وضعت امي عشاءك على حدة وما يزال ساخناً.

ـ لا تزعجي نفسك، سأنزل واتناوله في غرفة الطعام، او في المطبخ.

ـ انت لا تزعجينني. ابقي متمددة، فسأصل في الحال.

تثاءبت سارة وشعرت بارتياح في داخلها. عادت كاتلين بسرعة حاملة عشاء فاخراً على صينية وضعتها على ركبتي سارة. وقالت:

- حساء البازيللا، وفطائر بالدجاج والفطر، انصحك بالفطائر ساخنة.

- هل اعددتها بنفسك؟

- نعم، كيف عرفت. قررت اليوم ان اساعد والدتي لأن الطاهية تزوجت خلسة من بائع الحليب.

- آه، لا!

- الحب من النظرة الاولى! انه شاب قصير وأصلع...

- فطائرك لذيذة والصلصة رائعة.

ثم خرجت بسرعة من الغرفة مقفلة الباب وراءها. وعرفت سارة ما تقصد كاتلين قوله، وتهيأ لها ان السيدة دوريل تفكر بالشيء نفسه. فالام والابنة تخشيان الا تكون سارة الزوجة الاكيدة لبيري. تتمنيان له زواجاً سعيداً، وبالرغم من محبتهما لسارة، ما زالتا تتساءلان بقلق فيما اذا كانت المرأة لا تدع عزيمتها تثبط لأقل مشكلة او اي ظلّ.

وتساءلت: هل هما على خطأ؟ هل تحب بيري حباً كبيراً قادراً ان تتحمل كل المفاجآت الناتجة عنه؟ وادركت ان عاطفتها تجاهه لم تكن قوية كالعاطفة التي كانت تكنها للوك. لكن الم يقسما عدم مقاساة العذابات نفسها؟ كانت الصداقة الحقيقية تجمعهما، ولم تأخذ علاقتهما اتجاهاً جديداً الاّ في الآونة الاخيرة.

هل هي اكيدة من امكانية الزواج من بيري كما اصرت على ذلك امام لوك؟ ظلّت فترة طويلة ممددة في الظلام تحيك الافكار الغامضة.

بالفعل لم تظهر لبيري انها تحبه، لكنها لم ترفضه ايضاً.

وفي صباح الغد، عندما نزلت الى غرفة الطعام كان بيري يتناول الفطور وحده. نظرت اليه وهو يتناول الخبز المحمص ثم قالت بصوت هادىء:

- بيري، لقد سبق وتحدثنا عن الزواج. لكن، كما سبق وقلت لك ليلة وفاة والدي، ان عواطفي...

- اتذكر تماماً. واتذكر ايضاً عناقك، لا تبالي بالامر، يا حبيبتي، سنجد حلا.

عضت على شفتها بعصبية وقالت متوسلة:

- بيري، انا لست اكيدة... فروّيتي للوك من جديد...

- لم تتمكني بعد من نسيانه، اليس كذلك؟

صرخت بصدق قائلة:

- آه لا! لكن الزواج عملية جدية. لقد سبق ان عشت تجربة سيئة ولا أريد ان اكرر السقوط بالخطأ نفسه مرّة جديدة.

- اعدك... اعرف ما تشعرين به. انت وانا، مختلفان. اتحادنا ليس عاصفاً، لكنه هادىء، متين وكريم...

تنهدت ولمعت الابتسامة في وجهها وقالت:

- آه، بيري! هذا امر رائع.

انحنى يعانقها ثم قهقه ضاحكاً وقال:

- المربّى على انفك، يا ملاكي. انزعيها واستعدي للقاء المحامي.

تمت قراءة الوصية بسرعة ومن دون مفاجأة. سارة هي الوريثة الاساسية، لكن سام اوصى باعطاء بعض الاشياء الشخصية الى لوك، كقداحته الذهبية وساعة يده وسلسلته وكل الكتب التي

يريدها.

ولما وصل الى هنا، تنحنح المحامي ليوضح صوته ونظر من وراء نظارتيه واعلن:

ـ هناك ملحق للوصية اضيف حديثاً.

احمرّت وجنتا سارة واشرأب الغضب في وجه بيري. اذن سام كان يكن للوك محبة خاصة ويرجو في ملحق الوصية ان تتصالح ابنته يوماً ما مع زوجها.

نزع المحامي نظارتيه وسعل ثم نظر الى الحضور قائلا:

ـ هل لديك اي سؤال، يا سارة؟

ـ لا شيء. الى اللقاء يا سيدي، وشكراً.

قال لوك بصوت هادىء:

ـ المحامي سيرافقنا، يا سارة.

التفتت اليه مندهشة وقالت:

ـ آه! لماذا؟

اجاب من دون تفسير:

ـ أريده ان يكون حاضراً، هذا الصباح.

ولما وصل الجميع الى مكتب الشركة، استقبلتهم سكرتيرة انيقة وابتسمت لسارة وعزتها بكلمات ودودة، فأحنت سارة رأسها وقالت لها:

ـ شكراً.

سألها لوك ببرود:

ـ هل السيد جايسون وود هنا؟

فوجئت المرأة واجابت:

ـ كلا، يا سيدي.

ـ متى يصل قولي له اننا ننتظره في صالة الاجتماعات.

نظرت السكرتيرة الى سارة مترددة فأسرعت سارة قائلة:

ـ نعم، اطلبي منه ان يوافينا.

لكن السكرتيرة احتجت مندهشة:

ـ لكن... لكن السيد وود ليس هنا اليوم. وهناك عدة اتصالات تخصه...

قاطعها لوك قائلا:

ـ حاولي الاتصال به في المنزل.

هزت كتفيها وقالت:

ـ حاولت مراراً ولم يرد عليّ احد.

اطلق لوك شتيمة سريعة والتفتت سارة اليه مضطربة وقالت:

ـ ماذا يجري، يا لوك؟

نظر اليها وقال بحذر:

ـ تعالي.

وتوجها الى صالة الاجتماعات. وتبعهما بيري والمحامي بعدما تبادلا النظرات المفاجئة. لكن بيري ادرك امراً ما ورجع الى الوراء وقال للسكرتيرة:

ـ انتظر والدي: مايكل دوريل. وارجو ان تدليه على الطريق عندما يصل.

سألت سارة:

ـ الآن، اشرح لي الامر، يا لوك؟ ما يجري هنا؟ هل حدث شيء لجايسون؟

- اخشى الاّ يكون قد غادر البلاد.

فتحت سارة عينيها باندهاش وقالت:

- جايسون؟ لكن، لماذا؟

- سارة، لم آت الى هنا بالصدفة. والدك هو الذي طلب مني الحضور. كان يشك بجايسون ويتهمه بالاختلاس، لكن، بسبب مرضه، كانت تنقصه البراهين. لكنه مات قبل ان ابدأ بالبحث والتحقيق. باشرت تحقيقاً صغيراً ولما اقترح السيد دوريل رؤية دفاتر المحاسبة اغتنمت الفرصة لأسرع في طلبها من دون ان الفت انتباهه. كنت اعتقد انه سيريني اياها. واكتشفت انه كان يقوم بعمليات مالية غريبة. لكن ما دامت الدفاتر ليست في حوزتي، لم اكن اكيداً من شيء. كنت اتوقع بعض المماطلة من جانبه ولهذا السبب طلبت من المحامي الحضور. لكن الظاهر ان القصة خطرة اكثر مما كان سام يتوقع. والاّ لجاء جايسون الى الموعد.

جلست سارة في احد المقاعد الجلدية المحيطة بالطاولة، لشدة هلعها وقالت:

- لا يمكنني تصديق ذلك! جايسون! آه، لوك، ربما انت مخطىء.

تدخل المحامي قائلا:

- لوك، ليس لدينا براهين وأدلة. ومن المفروض عدم التسرّع في الامور والقفز الى الاستنتاجات ربما هناك اسباب عديدة تبرر غياب السيد وود.

- انا متفق معك كلياً. ولا ارى سبباً للانتظار هنا مطولا. اذا لم يظهر جايسون في غضون اربع وعشرين ساعة، سأعلم الشرطة بالامر.

رمقه بيري بنظرة قلقة وقال:

- انت تشتبه بجايسون باختلاس اموال الشركة، اليس كذلك؟

نظر اليه لوك بسخرية وقال:

- تماماً.

- وحسب رأيك الى اي حدّ من الاختلاس وصل؟

- لا اعرف. لديه صلاحية مطلقة. ربما ان سارة كانت بريئة في عملها، فكان يقنعها بأنها هي المديرة، بينما كان يتصرف بالفعل كأنه هو المدير. الله وحده يعرف مبلغ الخسارة!.

قالت سارة بصوت منخفض:

- انا لا اشعر بحالة جيدة. آه، لوك، آمل ان تكون على خطأ. كنت احب جايسون كثيراً واثق به كلياً. لماذا تصرّف هكذا؟

نظر لوك اليها بعطف وقال:

- يا ابنتي العزيزة، قام جايسون بادارة هذه المؤسسة خلال سنوات عديدة. كان يعمل بصدق واخلاص لوالدك. ولم يتلق تجاه اتعابه الا معاشه... معاش مرتفع، لكنه معاش وحسب. كان يعرف ان كل هذه الاموال ستعود اليك، انت التي لا تعرفين شيئاً عن الاعمال. وأفهم بأنه شعر بمرارة لهذا الوضع.

صرخت بسخف:

- كنت اتصوّر انه يحبني ويحترمني.

اجابها لوك وفي عينيه بريق ساخر وعلى شفتيه ابتسامة عريضة:

- انا اكيد من ذلك.

ربت بيري على كتف الفتاة وسألها:

- كيف تشعرين، يا سارة؟ هل تريدين كوباً من الماء؟

نظر لوك الى ساعة يده وقال:

- عليّ الذهاب. وانت، يا كلايت سآخذك معي الى مكتبك وانتهز الفرصة لاسوي بعض الامور المعلقة معك.

سألته سارة وهي تنهض بسرعة:

- اين انت ذاهب؟

فقدت المرأة الثقة بنفسها بعد كلام لوك وشعرت بعدم امكانية تدبير الامور بنفسها. ولم تكن تريد ان تبقى وحدها. فقال لها وهو يتجه بخطوات واسعة نحو الباب:

- سأتصل بك.

التقى بالسيد دوريل وهو خارج من المكتب واشار اليه بانحناءة من رأسه ثم اختفى.

دخل دوريل الى صالة الاجتماعات مقطّب الحاجبين وسأل:

- اين ذهب ايليوت بهذه العجلة؟

بدأ بيري يشرح له حقيقة الامور. فكان يصرخ بذعر وينظر الى الفتاة الجالسة مكانها والمحدقة بصورتها في زجاج الطاولة، حالمة. فقال:

- ما زالت تحت تأثير الصدمة. من الافضل ان ترافقها، يا بيري. الا تكفي وفاة سام.

اقتربا من سارة وانحنيا باهتمام وساعداها على النهوض. سارت نحو الباب كالدمية تنظر في الفراغ. حدقت فيها السكرتيرة بفضول.

وبالكاد ادركت سارة انها وصلت الى منزل آل دوريل. لقد لجأت الى صمت كلّي. فكانت السيدة دوريل متأسفة جداً لهذا النبأ وساعدت سارة في الصعود الى غرفتها.

نظر السيد دوريل الى ابنه بهدوء وقال له:

- الوضع تغيّر الآن بصورة كاملة، يا ابني ولا يمكنني الاستمرار في طلب شراء اسهم لوك، ما دمنا لا نعرف بوضوح ماذا يجري.

- طبعاً، يا ابي، لكن ماذا سيحلّ بسارة؟ اعني، اذا...

- اذا فقدت ثروتها؟ انت الذي يقرر الامر.

- انا احبها يا ابي. ولا شك انها تعاني صدمة كبيرة. لقد تركها جايسون وود في مصيبة كبيرة، وانا لا يمكنني ان افعل الشيء نفسه.

كانت سارة ممددة في سريرها ترتجف برداً بالرغم من زجاجة الماء الساخنة التي وضعتها السيدة دوريل تحت الغطاء. خيانة جايسون تؤلمها بعدما وثقت به كلياً. لا شك ان لوك مخطىء والامور ستتوضح عما قريب.

جلست وادارت رقم هاتف فندق الهيلتون وطلبت الكلام مع السيد ايليوت، فأجابت موظفة الهاتف قائلة:

- السيد ايليوت؟ اخشى ان يكون قد غادر الفندق.

- ومتى سيعود؟

- انه مسافر الى نيويورك، بعد ظهر اليوم.

- نيويورك؟ هل انت جادة فيما تقولينه. هل تتمكنين من تأكيد الحجز؟

- كما تريدين.

بعد صمت دام طويلا، عادت الموظفة لتقول باحتقار وترفع:

- نعم، السيد ايليوت دفع فاتورته وسيأخذ الطائرة المتوجهة الى نيويورك في تمام الثالثة بعد الظهر.

اقفلت سارة الخط ودخلت الى سريرها، بيضاء كالثلج. رحل

لوك من دون كلمة. لماذا؟ فجأة، خبأت وجهها بين يديها المرتجفتين وادركت بوعي ان لوك ما يزال الرجل الذي يعتبر عمله اهم شيء في حياته. تصرّف مثل دبابة مرّت على جسمها وطحنتها، ثم ولّى ذاهباً غير مهتم بالدمار الذي احدثه وراءه.

وعادت الى ذاكرتها الشهور الاولى لزواجهما، كانت واضحة كأنها حصلت في الامس. كانت سعيدة في بادىء الامر، ثم شيئاً فشيئاً، بدأت ترى لوك أقل فاقل بينما كان ينغمس اكثر في العمل. واحياناً لا يعود في المساء ابداً ولا يتصل بها ليشرح لها سبب تغيبه. وذات يوم قال لها:

ـ انا اكيد انك ناضجة كفاية لتتسلي وحدك، اليس كذلك؟ من اجل السماء! هل تعتقدين انني قادر على البقاء تحت قدميك ليلاً نهاراً؟

ومنذ ذلك الوقت انكمشت على نفسها، لا تدري ما تفعله. ولم يدرك لوك هذا الامر. كان يطلب منها فقط ان تكون جميلة عندما يأتي المدعوون. فكان يضع يده على خصرها وهي ترسم ابتسامة عريضة على شفتيها، بينما يستقبلان الضيوف. كانت تحاول تسليتهم خلال السهرة ببعض الكلمات اللائقة والاخبار العصرية. ومع ذلك كان ينتقدها انتقاداً لاذعاً، اذ كان يقول:

ـ تبدين فتاة غير ناضجة ولا تعرفين الاشتراك في الحديث. متى تتوصلين الى سهولة التعبير مثل فيكتوريا؟

فيكتوريا... تقطب وجهها لدى تذكر فيكتوريا بلير، الممشوقة، السمراء، المتعجرفة، التي اصبحت مثالها الوحيد. وكان واضحاً انها فرحة بلوك. شيئاً فشيئاً بدأت سارة بالاعتقاد ان لوك مغرم بها

ايضاً. لم يتفارقا ابداً منذ ان احتلت فيكتوريا مركزاً مهماً في شركته. انها امرأة طموحة وباردة وجذابة.

كانت سارة تكره هذه المرأة ولم تكن قادرة على مجابهة الوضع. وحتى عندما كان يظهر لوك عن لطفه تجاهها كانت تحتار وترتبك. وعندما يتصرّف معها كالعاشق الملتهب لم تكن قادرة على مقاومته بالرغم من شدة تعاستها وقلقها الكبير. لقد وضعها في الفخ وسجنها بسحره...

وشيئاً فشيئاً ولقلة نضجها وتجربتها في الحياة، ادركت ان حبها له بدأ يتحول الى خوف ثم الى كراهية. وحينذاك قررت العودة الى والدها. وكانت تنتظر منه ان يطلب الطلاق ليتزوج من فكتوريا، لكن لم يحدث ما كانت تتوقعه. هل كانت فيكتوريا ضد فكرة الزواج؟ ربما هذا هو السبب لعدم زواجه منها قبل لقاء سارة. وحسب المظاهر، ظلت علاقات فيكتوريا ولوك هي نفسها، بالرغم من الاشاعات التي تعلنها الصحف عن علاقاته بنساء اخريات غيرها.

ومن دون شك لم يكن لوك حيواناً اليفاً. عالمه الوحيد كان غاية اعماله. كان يتأثر بها بسهولة النمر. ولم يكن مستعداً للزواج بل يفضل الحرية.

٤- سارة تعرف يوماً من السعادة برفقة بيري الا انها تجد نفسها مجبرة على الذهاب الى الولايات المتحدة الاميركية لاجراء معاملات الطلاق. بيري يبدي تخوفه وقلقه من هذه الزيارة الخطرة. . .

كانت سارة تتناول فطور الصباح عندما اتصل بها المحامي ليخبرها بالتعليمات التي أوصى بها لوك، والمفروض ان تتبعها. قال لها:

- حتى نهار الغد، اذا لم يعد السيد جايسون وود ولم يكتب لتوضيح الوضع، أوكلني السيد ايليوت ان أبلغ الشرطة بالأمر. وفي الوقت الحالي، تقوم فرقة من المحاسبين بتدقيق دفاتر المحاسبة. اوصاني لوك ان أعلمك بالأمر، وهو يطلب منك الا تقلقي. يريدك ان ترتاحي وتنسي العمل.

أجابت سارة بصوت هادىء:

- انها شركة والدي!

بعد ليلة قضتها في نوم عميق، شعرت سارة بالحيوية وقررت مجابهة المستقبل بعزم. لم يتغير شيء، فهي تعرف ان العمل يأتي اولا بالنسبة الى لوك. اذا تصرفت في الأمس بضعف فلأنها كانت ما تزال تحت تأثير الصدمة. اما اليوم فهي قادرة على مجابهة أي وضع مهما كان صعباً.

اظهر المحامي عن هدوئه وقال لها:

- طبعاً، يا سارة، لكن ايليوت على حق. لقد عانيت الكثير في المدة الأخيرة. وأنت حقاً متعبة وبحاجة الى الراحة. لماذا لا تأخذي بضعة أسابيع عطلة؟ اذهبي. . . ما رأيك برحلة في جنوب فرنسا؟ او في ايطاليا، مثلا؟

سألته ببرود:

- ومن يقوم بالعمل داخل الشركة، خلال هذا الوقت؟

- لقد فكر السيد ايليوت بالأمر.

احمرّ وجهها غضباً وقالت بعد تردد بسيط:

- آه، نعم! وماذا فعل؟

أجابها معتذراً:

- سيرسل شخصاً من نيويورك ليأخذ على عاتقه القيام بالأشياء الحاصلة في الشركة. انه رجل ذو خبرة كبيرة وأنا أكيد بأنك ستوافقين معي على كفاءته.

أجابت بجفاف:

- ما دام لوك سيرسله فكيف لا يكون كفوءاً.

أطلقت زفرة وأضافت:

- أرى ان لا خيار لدي. الى اللقاء وشكراً.

أقفلت الخط وتوجهت الى النافذة. كان وجهها قاسياً. كل ما تنبأت به يحدث، فلوك يقلع كل شيء من دربه كالزوبعة ولا جدوى في مقاومته. انه يملك اكثرية الأسهم ويريد بطبيعة الحال التخلص منها. كانت تشك بصحة توقعاتها، لكنها أصبحت الآن أكيدة من ذلك.

ما هو المبلغ الذي اختلسه جايسون؟ وما هو الوضع المالي داخل الشركة؟ لوك لا يتحمل ان يسرقه احد. فسيلاحق جايسون باستمرار. كانت سعيدة لأن والدها مات قبل ان يعرف الحقيقة. لكن الذي يجرح شعورها وكبرياءها هو ان سام وثق بلوك وفضل اللجوء اليه بدلا منها. لماذا فعل ذلك يا ترى؟ لا شك انه لم يكن يعتبرها متينة لمجابهة الوضع. التفتت بالمرآة ورأت فتاة ممشوقة نحيفة، وكتلة من الشعر الأشقر الفضي وعينين زرقاوين واسعتين. فقالت لنفسها: يجب ان أتعلم ان أكون قاسية. لوك يتدبر أمره وبامكانه مجابهة أي وضع بقسوة وتصلب ومثابرة. آه لو كنت أشبهه... لما تدمر زواجنا... كان يجب عليّ ان اكون بذكاء وحماس فيكتوريا. هذا النوع من النساء يعجبه كثيراً. حتى والدي لم يكن واثقاً بي، ولو في الأوقات الصعبة.

انتفضت لدى سماعها طرقاً على الباب فهتفت:

ـ ادخل.

دخل بيري. توقف على عتبة الباب متردداً، ثم نظر اليها نظرة ثاقبة وقال:

ـ كيف تشعرين اليوم؟

تلألأت ابتسامة واسعة على وجه سارة فأجابت:

ـ اشعر بتحسن كبير، شكراً. وأنت، كيف حالك؟

أطلق بيري زفرة امتنان وقال:

ـ وأنا ايضا. اخذت يوم عطلة وبامكاننا ان نقضيه معاً. ما رأيك بنزهة في الجبل وبغداء في الحانة.

ـ آه، انها فكرة رائعة، يا بيري. هل تعرف مكاناً معيناً؟

ـ أعرف حانة في تودور، حيث الطعام لذيذ ونظيف. تقع قرب ساقية صغيرة. فنقوم بالنزهة قبل الغداء لتنفتح شهيّتك.

صفقت وقالت:

ـ رائع!

سألها بيري محدقاً بثوبها الأسود:

ـ كم يلزمك من الوقت لتصبحي جاهزة؟

ـ انك تعتبر ما ارتديه غامقاً، أليس كذلك؟

ـ حبيبتي، ربما اعتقدت انني انسان جاف لكن سام كان يكره الحداد ولا يحب ان يراك بثياب سوداء. تبدين شاحبة كالشبح.

تنهدت وأجابت:

ـ انت على حق، سام لم يكن يريدني ان ألبس الحداد. فهو يحب الألوان الفاقعة. قال لي، مرة، ان الحياة صنعت للأحياء. والحسرة الدائمة تسبب الألم.

وضع بيري ذراعه حول كتفيها ونظر اليها بحنان وقال:

ـ ماذا لو ترتدين بزتك الرمادية؟ انها تليق بك وتكونين هكذا بلباس نصف حداد.

ابتسمت وقالت:

ـ يا لك من دبلوماسي شاطر! حسناً، سأكون جاهزة بعد ربع

ساعة.

أضاف بيري وهو يتوجه الى الباب:

ـ لا أصدق قبل ان أراك.

كانت بزتها الرمادية مصنوعة من القماش الصوفي الخفيف. السترة تصل الى الخصر والتنورة مكسّرة. ولما رآها بيري أطلق تصفيرة اعجاب. ثم ابتسم لها فسألته:

ـ ما رأيك؟

ـ أنت رائعة!

كانت الشمس تلمع وتحيط المنظر الخريفي بهالة ذهبية، بينما كانت السيارة تجوب الطرقات الضيقة المتعرجة. الأشجار بلا أوراق أول الشتاء تبرز جذوعها العارية بأناقة وسحر. الأثلام المفتوحة في صفحة الأرض السوداء تبعث دخاناً خفيفاً. الطيور السوداء تبحث عن الطعام في الحقول، ثم تطير من حقل الى آخر. احتل سارة حزن وقنوط وقالت:

ـ الشتاء على الأبواب.

ـ وكذلك عيد الميلاد. احب مراسم هذا العيد والاحتفالات، وأنت؟ أتعرفين ان والدتي ما زالت تقدم لي حذاء العيد؟

ـ آه، يا بيري! صحيح؟

ـ نعم! تتسلل الى غرفتي بالسر وتضعه تحت سريري خلال الليل. في الماضي كانت تملأه العاباً، اما الآن فأرى في داخله مناديل او عطوراً، او جوارب، ودائماً هناك برتقالة ملفوفة بالورق المذهب. بالنسبة الي، الميلاد... يعني رائحة البرتقال وحفيف الورق حوله.

ـ والداك انسانان رائعان، يا بيري! أنت محظوظ، أتعرف ذلك؟

وأنتم جميعاً متفقون داخل العائلة وهذا نادر في أيامنا. لم تعد العائلة كما كانت عليه من زمان.

ـ آه، لا شك ان العائلات السعيدة عددها كبير، اكثر مما تتصورين. في الصحف، لا يتحدثون الا عن العائلات المنشقة.

ـ أنت على حق. أنا ايضا كنت سعيدة مع سام. وكنا متفقين تماماً.

أوقف بيري السيارة قرب مجموعة منازل قديمة العهد تمتد أمامها حديقة واسعة. ثم قال:

ـ على أصحاب هذه المنازل ان يقطعوا العشب المكدس.

راحا يتمشيان ويتمتعان بهدوء وسكينة المكان. عرّجا على كنيسة صغيرة مبنية من حجر، ثم وصلا الى طريق يؤدي الى النهر. الماء تنساب بكسل بين المراعي المكسوة بالعشب الكثيف. الممر موحل، يتعرج تحت أشجار الحور فوق هوة عميقة ينبت فيها البيلسان وثمار العنب.

كانا يمشيان بصمت وبطء يتأملان مياه النهر الخضراء. أحياناً تبرز سمكة من خلال تعرجات المياه والهواء يعبق برائحة الأوراق الميتة والأرض الرطبة.

فجأة توقف بيري ونظر الى سارة وقال:

ـ هكذا اذن، عاد ايليوت الى الولايات المتحدة الاميركية؟

ـ نعم.

كانت قد نسيت ان لوك موجود في هذه الدنيا. فسألها بيري:

ـ وماذا حل بالطلاق؟

ـ لقد حذرتك بأن الأمر صعب. سأتصل بالمحامي لهذا

الخصوص.

- بالسيد كلايت؟ انه في الوقت نفسه محامي ايليوت، أليس كذلك؟

تنهدت ثم قالت:

- نعم. كأن لوك ميّال لاغتصاب الأشخاص. ومن الصعب مقاومته عندما يأخذ قراراً معيناً. والآن طالما السيد كلايت يعرفه، فالتحدث اليه يكون سهلا.

وصلا اخيراً الى الحانة. سقفها مبني من حجارة القرميد الأحمر ونوافذها فرنسية الطراز. وفي الداخل المدفأة مشتعلة والديكور عصري يتناسق مع الخارج. الطاولة مصنوعة من خشب الجوز اللامع وعلى الجدران الخشبية علقت اللوحات ذات المناظر الطبيعية. وفوق المدفأة مزهرية شاسعة في داخلها باقة كبيرة من أوراق الخريف.

كان الطعام لذيذاً، مؤلفاً من الروستو الانكليزية التقليدية والخضرة وأنواع عديدة من الأجبان. حتى القهوة كانت رائعة. فسألها بيري:

- ما رأيك؟

- رائع جداً.

- سنعود الى هنا في المستقبل. لقد وجدت هذا المكان بطريق الصدفة، منذ بضع سنوات.

- الوصول الى هذا المكان يتطلب اجتياز مسافة بعيدة عن العاصمة.

- لهذا السبب لم اصطحبك الى هنا من قبل.

وبعد ان دفع بيري الفاتورة، خرجا وراحا يتمشيان حتى الساحة الصغيرة. ثم صعدا في السيارة على مهل وتوجها نحو طريق لندن.

همست سارة قائلة:

- شكراً لهذه النزهة. اشعر بتحسن كبير. هذا التغيير رفع معنوياتي كثيراً.

- هذا أمر حتمي. التغيير يفعل المعجزات. المشي أنار وجهك وعيناك تلمعان الآن.

ضحكت ثم قالت:

- الذي يسمعك يعتبرني فتاة معاقة.

- كنت تبدين هكذا نوعاً ما.

- انت حقاً تحب المديح والاطراء.

- آه، تحبين المديح؟

نظر اليها بشغف وأضاف:

- انتظري حتى المساء.

- سأنتظر بفارغ الصبر.

*

كرّس لها بيري الأيام التالية، مهملا عمله بعد الاستئذان من والده. وكان يأخذها في نزهات بالسيارة، في الجبل المليء بالألوان الخريفية العديدة. وأمضت سارة أياماً رائعة برفقته. فبيري رفيق حنون ويهتم بها تمام الاهتمام. ومنذ أشهر عديدة لم تقم بأي تسلية او تأخذ اي عطلة. منذ سنتين وهي تعيش في توتر دائم. والآن تحررت من الهم الذي كان يحتلها بسبب مرض والدها. ومن وقت الى آخر كانت تراودها الأفكار الحزينة، كلمة او نظرة كانت تذكّرها

بسام. لكن بيري كان يعرف ما يجول في خاطرها ويحاول جهده كي يبعد الحزن عنها.

وذات يوم بينما كانا في صالون منزل آل دوريل، بعد الغداء في مطعمهما المفضل، أحاط بيري سارة في ذراعيه وهي اتكأت برأسها على كتفيه وأطلقت تنهيدة وقالت:

- انت لطيف معي يا بيري.

- هذا أمر سهل عندما يتعلق بك.

طبع على رأسها قبلة ثم تجهم وجهه وسألها:

- هل اتصلت بالمحامي؟

- اتصلت به امس وسأراه صباح الغد.

- هل تريدين ان أرافقك؟

- لا أعتقد ان ذلك ضروري. والأفضل ان أكون وحدي معه.

نظرت اليه واحمرّ وجهها وقالت:

- لا علاقة لك بالطلاق، أليس كذلك؟

- حسناً، لكن عليك ان تتأكدي من عزم المحامي وحزمه تجاه ايليوت. واطلبي منه الا يسمح لايليوت ان يتهرب من الوضع.

- لا تقلق، سأكون واضحة معه.

لكن لقاءها بالسيد كلايت لم يكن كما توقعته. صحيح انه كان لبقاً معها، لكن ما ان فتحت له موضوع الطلاق حتى أوقفها بنظرات اعتذار وقال بسرعة:

- لقد حذّرني السيد ايليوت انه من الممكن ان تفتحي معي هذا الموضوع.

- آه، صحيح؟ ومهما قال لك، لا تنسَ انك المحامي الشخصي

لي.

- هذا غير صحيح، فأنا ايضا محامي زوجك منذ مدة طويلة.

تقلصت وقالت:

- هل انت مستعد لسماع ما سأطلبه منك، ام تريدني ان أوكل محامياً آخر؟

مدّ لها يده ليهدىء من روعها وقال:

- سيدة ايليوت، ارجوك. دعيني اوصل لك رسالة قصيرة.

- من... من السيد ايليوت؟

عضت على شفتيها وتنهدت ثم قالت:

- جيد جداً. وماذا هناك؟

نظر السيد كلايت الى مكتبه، ثم بدأ يقول:

- يطلب منك السيد ايليوت ان تأتي الى نيويورك اذا أردت الحصول على الطلاق.

قفزت واقفة وقالت باستغراب:

- آه... ماذا؟ انه انسان وقح وتافه!... ولماذا يريدني ان أذهب الى نيويورك؟ لا أرى الهدف من ذلك.

- من المحتمل ان تكون اجراءات الطلاق هناك أسرع مما هي عليها هنا. في بعض الولايات داخل اميركا يمكن الحصول على الطلاق بوقت قصير، لمجرد الطلب. وهكذا تصبحين حرة خلال أسابيع قليلة. ويكفي الذهاب الى اميركا لتصبحي مقيمة هناك.

نظرت اليه محدقة وقالت:

- هل صحيح انه بامكاني ان أصبح حرة خلال أسابيع معدودة؟

- نعم. الطلاق في اميركا اسرع مما هو عليه في انكلترا. هنا

الطلاق يأخذ شهورا وسنوات، ويتعلق بالمحاكم.

ـ هل انت متأكد من الأمر، يا سيد كلايت؟

ـ تماماً. زوجك اميركي الجنسية وانصحك بالذهاب بسرعة الى اميركا للحصول على الطلاق. انها الطريق الفضلى، حسب رأيي.

تنهدت وقالت:

ـ اذن سأفكر بالأمر.

اصر السيد كلايت ان يقدّم اليها فنجاناً من القهوة. وبينما كانت تحتسيه عرض عليها الوضع داخل مؤسسة والدها. اختفى جايسون ولا أثر له. ويقول رجال الانتربول انه خارج البلاد بعد ان اختلس مبلغاً كبيراً من المال ولا شك انه يعيش تحت اسم مستعار.

ثم أوضح لها قائلا:

ـ أخشى ان يكون وضعك المالي في حال دقيقة، في الوقت الحالي. وما دام المحاسبون لم ينتهوا بعد من الكشف على دفاتر المحاسبة لا يمكننا التأكد من كمية الخسارة. كل يوم يكتشفون مخالفات جديدة لجايسون.

أجابته بذعر:

ـ هل هناك احتمال للافلاس؟

ابتسم المحامي وقال:

ـ لا. المؤسسة ستظل قائمة. لكن السيد ايليوت، على ما أظن، ينوي احداث تغييرات مهمة داخلها. لا أعرف التفاصيل. نظراً الى نجاحه الكبير في المجالات الأخرى، فأنا أكيد بأن هذه المؤسسة ستزدهر مجدداً.

ـ نعم، أنت على حق. لم يسبق للوك ان فشل أبداً.

ولما أخبرت بيري عن رسالة لوك، شعر بالاندهاش وقال:

ـ يريدك ان تسافري الى اميركا؟ ماذا جرى له؟

ـ انه يعرف أهمية طلبه، وقد قرر ان عليّ الذهاب الى نيويورك.

سألها غاضباً:

ـ وهل تنوين الذهاب؟

ـ اذا كان السيد كلايت على حق، فالذهاب الى اميركا أفضل شيء أفعله للحصول على الطلاق بالسرعة المرجوة.

ـ نعم، يكون الأمر عظيماً اذا كان صحيحاً. أنا لا أثق أبداً بايليوت. من يدري أي خطة قد رسم لافشال مشروعك؟

ابتسمت له سارة وقالت:

أعرف ماذا تشعر. وأنا ايضا كنت غاضبة في بادىء الأمر. لكنني اعتقد ان علينا ان نثق بالسيد كلايت. من

ـ وأنا سأرافقك الى اميركا.

ـ شكراً، يا بيري. لكن هذا سيوتّر لوك من دون شك. سأحاول ما الحصول على الطلاق بأسرع ما يمكن وأعود الى انكلترا.

همس بيري بانزعاج:

ـ آمل ألا تكوني على خطأ. لكن يتهيأ لي ان ايليوت يحضّر لنا مفاجأة ما.

ـ هذا ليس امراً حتمياً. ربما يرغب حقاً في الطلاق. ربما قبلت فيكتوريا اخيراً الزواج منه.

ـ فيكتوريا... ؟ من تكون؟

ـ آه، امرأة أعمال رائعة، وهي صديقة لوك. بنظري فقد أراد دائماً الزواج منها. وهي تحبه لكنها تفضل وظيفتها على الزواج. ربما

غيّرت فكرها.

نظر الى سارة بقلق وقال:

ـ آمل ذلك. أكره ان أراك تذهبين لأني أخاف الا أراك بعد الآن.

ابتسمت اليه بحنان وقالت:

ـ قل لنفسك انها العطلة التي كنت تريدني ان آخذها. وآمل ان أعود بسرعة.

*

وبعد يومين سافرت سارة الى نيويورك ورافقها بيري الى المطار. كان قلقاً وهو يودعها وطلب منها مرة ثانية ان تتصرف بحذر وأصرّ قائلا:

ـ لا تثقي به وتذكري انني انتظرك. واذا لم تعودي خلال شهر جد سأذهب الى الولايات المتحدة بنفسي واصطحبك معي. ومايوت لا يستطيع ان يمنعني من ذلك.

ضحكت لمزاجه العدواني وقالت:

ـ الذي يسمعك، يتصور ان لوك رئيس عصابة بدلا من كونه قطباً كبيراً في عالم الاقتصاد! هل تخاف ان يقفل عليّ ويرمي المفتاح؟

ـ انه قادر على ذلك.

ـ آه، بيري! صحيح! خيالك مندفع للغاية.

ـ ايليوت رجل مستبد، عنيد ومن دون رحمة، وهذا ما قلته عنه أنت بالذات. هذه الرحلة لست متفائلا بنتائجها. لماذا يقبل بالطلاق بسهولة بعد ان رفضه خلال سنتين.

هزت الفتاة كتفيها وقالت:

ـ لكن لم أطلب منه الطلاق قبل الآن.

ـ هذا لا يغيّر في شيء. راقبيه عن كثب. وخاصة، دعيني على علم بالأمر. اكتبي، اتصلي هاتفياً. اذا لم أحصل على أخبار منك، سأجتاز المحيط كحمامة مهاجرة.

ـ سأكون حذرة وأعدك بذلك.

وبينما كانت الطائرة تحلّق باتجاه مطار نيويورك، ألقت سارة نظرة من النافذة واسترجعت بذاكرتها ملامح بيري القلقة. وماذا لو كان على حق؟ هل يحيك لوك مخططاً ما؟ ماذا يمكنه ان يفعل بي؟

لقد أرسلت برقية للوك معلمة اياه عن موعد هبوط الطائرة. ولذلك فهي تتوقع ان يرسل شخصاً للقائها. كما أكد لها المحامي بأن زوجها يرغب في رؤيتها لدى وصولها الى اميركا.

لا شك انه يريد ان يدبّر لك مكاناً في الولاية التي يكون فيها الطلاق عملية سريعة. واذا اردت الحصول على الطلاق بسرعة، من الأفضل ان يكون لك اقامة في أبكر وقت ممكن.

ولدى خروجها من الجمرك، كان بانتظارها هنري شقيق لوك، فما ان رآها حتى حياها بيده وابتسم لها فرحاً وقال:

ـ آه! كيف حالك؟

شق طريقه وسط المسافرين وأمسك بكتفيها مبتسماً وقال:

ـ سارة، أنا سعيد لرؤيتك! تبدين في حال جيدة. شاحبة قليلا، لكن...

رمقته بنظرة ثاقبة لأنه توقف عن الكلام، فتابعت مكانه:

ـ لكنني أفضل مما كنت تتوقعه؟ لا شك ان لوك قال لك انني شاحبة ونحيلة.

ـ من أجل السماء، لا تتفوهي بالحماقات! هذا امر طبيعي ان

تكوني شاحبة، بعد موت والدك.

ران صمت قصير ثم سألته سارة:

ـ كيف حال اندريا؟ والأولاد؟

ـ جيد جداً. اندريا حامل من جديد. وآمل ان تنجب صبياً هذه المرة. أنا احب البنتين، بيتسي وسوزان، لكن أمي تحلم بحفيد.

ـ اذن، آمل ذلك أنا ايضا.

ضحكت ثم أضافت:

ـ الابنتان كانتا صغيرتين في آخر مرة رأيتها. ولا شك انهما كبرتا الآن، وفي سن الذهاب الى المدرسة، أليس كذلك؟

ـ بيتسي عمرها أربع سنوات وسوزان في الثالثة. انهما شقيّتان وتجننان اندريا. بالفعل، اندريا عصبية لأي شيء في هذا الأيام الأخيرة. أنت تعرفين كم هو صعب للمرأة ان تكون حاملا ومعها أولاد أشقياء. فهي بحاجة الى الهدوء.

ـ مسكينة اندريا. لكن أليس لديها من يساعدها على الاهتمام بالبنتين؟ كنت أتصوّر ان هناك مربية تعتني بهما.

ـ لا ينقصنا أي مساعدة. لكن بنظر والدتي ولوك، على اندريا ان تقضي جزءاً من نهارها برفقة الفتاتين، وهذا أمر متعب في حالتها الحالية. أنت تعرفين آراء لوك الغريبة.

ـ آه، نعم!

انها تتخيل الوضع تماماً. بالنسبة الى لوك الأولاد بحاجة دائماً ان يكونوا برفقة والدتهم. وهي تتخيله كيف يرغم اندريا على قضاء ساعات طويلة مع بنتيها. ولا شك ان زوجة أخيه غاضبة لهذا التصرف من قبل لوك. وحزنت لمصير هنري الذي يشعر بحيرة من

أمره بين زوجته وأخيه. انه ضعيف الشخصية بينما اندريا امرأة رائعة ومتطلبة. مسكين هنري! فهو غير قادر ان يفعل ما يريده...

ـ هل نذهب الآن؟

سيارة واسعة كانت بانتظارهما في المرآب. جلست سارة في المقعد الأمامي قرب هنري ونظرت داخل السيارة الأنيقة والمريحة. نظر اليها هنري فقالت له:

ـ لقد حجزت مكاناً في فندق الكونكورد. هل تعرف أين يقع؟

انتفض وقال بانزعاج:

ـ لكنني اصطحبك الى المنزل.

أجابت بهدوء:

ـ أريد ان أرى لوك في مكان محايد. ارجوك يا هنري، خذني الى الفندق.

نظر اليها مفصلا ثم أقلع فراحت هي تتأمل حركة السير المزدحمة. مدّ هنري يده وأشعل المذياع وانبعثت موسيقى «البوب» الصاخبة. وأمام انزعاج سارة أقفل المذياع لتذكّره ان المرأة لا تحب سماع المذياع في السيارة. سألته:

ـ كيف حال والدتك؟

ـ دائماً منهمكة بشيء ما... أنت تعرفين نمط الحياة التي تعيشها والدتي: بين البريدج واشتراكها في الحلقات الأدبية والموسيقية... حياتها مليئة للغاية. أتساءل كيف تجد وقتاً لأي شيء.

ـ لوك يشبهها كثيراً.

ـ من دون شك. وأعتقد ان طاقته أقوى.

ـ انه اعصار حقيقي!

ضحك هنري وقال:

ـ وجدت الكلمة المناسبة.

صحيح انه يحترم أخاه لكنه يخاف منه. نظرت سارة من النافذة وتقلصت في مقعدها وقالت:

ـ هنري، أنت لا تقودني الى الفندق.

ـ أنا آسف، يا سارة. يصر لوك ان اصطحبك الى المنزل مباشرة. ولا يمكنني ان اقتنع بأي حجة تقدمينها لي.

أمرته بصوت غاضب:

ـ قف في الحال. سأستقل سيارة تاكسي.

همس بانزعاج:

ـ أنا آسف لكنني لا استطيع عدم اطاعة لوك، وأنت تعرفين ذلك تماماً. بامكانك ان تأخذي سيارة تاكسي من قرب المنزل، اذا كنت تصرين على ذلك. لكن، اذا تركتك تذهبين الآن، سأتلقى قصاصاً كبيراً... ويكفي ما أعانيه من مشاكل...

ـ مشاكل؟

نظرت اليه بحيرة وأضافت:

ـ أي نوع من المشاكل، يا هنري؟

ـ آه، ليس الأمر ذا أهمية كبيرة. لوك غاضب عليّ واذا اشتدّ روعه، فسأخسر ايرادي.

قالت بجفاف:

ـ آه، بدأت أفهم.

نظر اليها مدافعاً وقال:

ـ أعرف بأنني جبان. لكن اذا فقدت ايرادي فستعرف اندريا

بالأمر وستحقد عليّ الى لا نهاية.

ـ الظاهر انك تعاشر امرأة أخرى؟

احمرّ وقال:

ـ لا يمكن ان يخفى عنك شيء. اسمعي، كانت مغامرة عابرة من دون أهمية بالنسبة اليّ. لكن لوك عرف بالأمر... كالعادة.

هز كتفيه وأضاف:

ـ كانت سافلة كما يحدث غالباً وراحت تطلب منه المال. وكاد لوك ان يختنق غضباً. فهو ليس بحاجة الى النساء. اما أنا، فمنذ ان حملت اندريا، أصبحت باردة تجاهي وحسب رأيها أنا المسؤول عن ذلك. كنت أشعر بالوحدة والتعاسة. لوك لا يفهم هذه الأمور.

ضحكت سارة أمام تعبيره المروع وقالت:

ـ ما بالك يا هنري هل أنت أحمق الى هذه الدرجة؟

ـ وكما ترين، الوقت غير مناسب لأثير غضب لوك من جديد.

ـ بالفعل.

مرّت السيارة أمام منزل واسع عالي النوافذ يحيطه العشب الأخضر والأشجار المورقة. أطلق هنري منبه السيارة فانفتح الباب الخارجي ببطء. دخلت السيارة تحت قنطرة من شجر الزيزفون. رائحة نار الحطب تفوح في الهواء ولمحت سارة الدخان يتصاعد من وراء المنزل. ووسط العشب المالس والأزهار النابتة، تبرز بعض التماثيل الرخامية. ونافورة الماء تتصاعد من قعر يد حورية ممشوقة مصنوعة من البرونز.

قالت ببطء:

ـ لم يتغير شيء، منذ سنتين.

ـ ما دام لوك هو الحاكم هنا، فلا أحد يستطيع ان يغيّر شيئاً.

نظرت الى الباب المفتوح. كان لوك واقفاً على عتبته بفخر واعتزاز. احتلها شعور جنوني. ألم ترتكب خطأً بالمجيء الى هنا؟ وماذا لو كان بيري على حق في عدم الثقة بلوك؟ لما رأته اجتازتها قشعريرة باردة وراح قلبها ينبض بسرعة جنونية.

٥- دخول سارة في عناكب عائلة لوك واكتشافها المشاكل الزوجية التي يعاني منها شقيقه هنري وزوجته اندريا، ثم مواجهتها الأولى العنيفة مع لوك واقناعها الزوجين بمغادرة المنزل.

ـ أهلا وسهلا بك.

قالها لوك بصوت ناعم وهو يستقبل سارة على الباب. فأجابت بعصبية:

ـ صباح الخير يا لوك.

لماذا كلما التقت بلوك يجتاحها شعور بالتوتر والانتظار المرتجف؟ وبالرغم من جهودها المتوالية للتحرر من تأثيره وسلطته، ما زال يحتل الآن مركزاً رئيسياً في بالها.

كان هنري يتصارع مع الحقائب ويعبق وجهه احمراراً بتأثير نظرات شقيقه الباردة. فأعلنت سارة بسرعة:

ـ لن أمكث هنا. ضع الحقائب في الصندوق من جديد، يا

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

هنري، من فضلك.

ألقى هنري نظرة منزعجة نحو أخيه وتمتم بعض الكلمات الغامضة. فأمسك لوك بذراع سارة ودفعها الى الداخل وقال:

ـ هذا تصرف تافه، يا سارة. ستبقين هنا هذا المساء. غرفتك جاهزة والدتي ستحزن اذا لم تبقي هنا.

ظهرت السيدة ايليوت في الحال بثوبها الأخضر وشعرها الأبيض المرفوع بشكل كعكة وراء رأسها. الماس يلمع في أصابعها، وقالت وهي تمد يديها نحو المرأة:

ـ سارة!

تقدمت سارة مطيعة. فضمتها والدة لوك الى قلبها وقبّلتها على خديها. وبعدما تفحصتها من قدميها حتى رأسها، بعينيها الزرقاوين الثاقبتين، أعلنت:

ـ لا يبدو انك بصحة جيدة يا سارة، أليس كذلك يا لوك؟ اذن، يا ابنتي، سنهتم بك ونحاول اعادة الألوان الجميلة الى هذين الخدين الجميلين! تعالي الى غرفتك، ولنتحدث قليلا.

أعلن لوك قائلا:

ـ سارة لا تريد البقاء هنا.

نظرت الوالدة الى ابنها وقالت:

ـ هذا مستحيل! والى أين تذهبين، يا سارة؟ أنت هنا في منزلك.

قالت سارة موجهة الحديث الى زوجها:

ـ ألم تشرح لوالدتك سبب زيارتي؟

قالت السيدة ايليوت وهي تهزّ كتفيها:

ـ هل تلمحين الى هذا الطلاق السخيف؟ بلى، أنا على علم

بالأمر. لكن هذا لا يغيّر شيئاً يا ابنتي. بعد وفاة والدك، انت بحاجة الى رفع معنوياتك، والحياة في الفندق مملة ويائسة. ومهما حصل هذا هو بيتك.

ثم وجهت الحديث الى هنري قائلة:

ـ هيّا، يا هنري، تعال وأدخل هذه الحقائب. ثم أذهب لرؤية اندريا. تبدو حزينة ولا أعرف السبب.

هذا الخبر أثّر بهنري كثيراً، لكنه تبع المرأتين في السلم جاراً وراءه الحقائب. كانت سارة تسمعه يشتم بصوت خفيض، خاصة عندما يرتطم بشيء.

ولما وصلت الى أعلى السلالم، التفتت الى الوراء. ورأت لوك مقبلا واقفاً في أسفل السلم يحدق بها باستمرار بعينيه الرماديتين. كان باب المدخل مشرعاً وبرز شبحه في الأمطار براقاً ومضيئاً والشمس تحيطه بهالة من الأنوار. وبصمت أشبكت نظراتهما، ثم اكملت سارة سيرها بعدما أطلقت زفرة ارتياح. ماذا سنفعل لتتحمل هذا البعد الشاسع بينها وبين لوك؟

أعلنت السيدة ايليوت وهي تفتح باباً أخضر.

ـ ها قد وصلنا.

وتذكرت سارة ان هذه الغرفة كانت فيما مضى معدّة خصيصاً للضيوف. سقفها مرتفع وأثاثها حديث وأنيق. الجدران مغلفة بورق أصفر فاقع، وعلى السرير غطاء من الحرير الأبيض.

قالت السيدة ايليوت بعدما أجالت نظرها في باقات الزهور المنثورة داخل الغرفة:

ـ آمل ان تشعري بتحسن هنا. لقد تذكرت انك تعشقين

الزهور.

تأثرت سارة لهذا الكلام وهذا الاهتمام وقالت:

ـ هذا لطف منك! شكراً، شكراً جزيلا.

سألتها السيدة ايليوت بلهجة كسيرة:

ـ الا تناديني اذن «أمي»؟

تعثر هنري وهو يدخل الغرفة وسقط فوق الحقائب. نظرت اليه والدته بعينين باردتين وقالت:

ـ شكراً. اذهب وهدىء من روع اندريا بسرعة. فستكون صحتها وصحة الجنين في خطر.

خرج هنري وأقفل الباب وراءه. اقتربت سارة من النافذة لتتأمل الحديقة. فرأت امرأة ترتدي الملابس الكحلية وتمشي ببطء مع ابنتين بين أشجار الفاكهة وتلال الورد. فقالت السيدة ايليوت التي اقتربت منها:

ـ هذه سوزان وبيتسي مع المربية. انها فتاة حمقاء، على ما أظن. لكن ليس من السهل في هذه الأيام العثور على مربية بسهولة. واندريا لا تعرف الاهتمام بالأولاد.

ـ فهمت من هنري انها حامل من جديد.

ـ آه، نعم! وتتدلل كثيراً علينا. هنري وحده قادر ان يتحمل امرأة من هذا النوع! انها تسبب لنا المشاكل العديدة.

أجابت سارة بجفاف:

ـ أخشى ان يكون حظك مع كنتيك امراً يصعب تحمله!

نظرت السيدة ايليوت الى سارة في حذر وقالت:

ـ طلب مني لوك الا أتدخل بشؤونك ولذلك لن أرد على

كلامك.

فقالت بلهجة ساخرة:

ـ طبعاً. لا أحد بامكانه الا يطيع لوك!

أجابت السيدة ايليوت بفخر واعتزاز:

ـ كان لوك يبلغ الثانية عشرة من العمر عندما توفي والده، ثم أصبح هو رب العائلة.

وبنظرة آمرة من عينيها الزرقاوين، سمّرت سارة مكانها، تتحداها اذا تكلمت او تحركت. ثم أضافت تقول:

ـ هذا الصبي عمل ساعات عديدة ليتمكن من اعالة عائلته. وفي المساء عندما يسقط في سريره، يكون متعباً الى درجة انه لا يقدر على خلع ملابسه او تذوق أي طعام. وهذا النمط من الحياة كاد ان يقتله لو لم يكن يتمتع بقوة الأسد. ولوك لا يرضى أبداً الخسارة! لقد جاهد وعمل واقتصد حتى نتمكن من تدبير أحوالنا، ثم بدأ يبني ثروته. لقد قضى حياة قاسية يا سارة. والاحترام الذي نكنه له يستحقه تماماً. وقد اكتسب حق اصدار الأوامر هنا.

شعرت سارة بالخجل وقالت:

ـ أنا آسفة. أعرف كم بذل جهده من أجل اسعاد عائلته.

استرخت السيدة ايليوت قليلا ثم قالت:

ـ ما أطلبه منك، يا سارة، هو الا تثبطي عزيمته وسلطته. لوك يشبه جميع الرجال ولا يحب المرأة التي تحتقره، خاصة اذا كانت زوجته.

احمرّت سارة بقوة وقالت:

ـ هل نسيت انني عشت معه سنة بكاملها. وتعلمت ان أتعرف

اليه؟

هزّت سارة رأسها وقالت:

ـ ورحلت لأن لوك كان بحاجة الى مضيفة وليس لزوجة. انا لم أكن أراه الا في المناسبات، واحتفالات العشاء. كان يبدو لطيفاً امام الناس، لكن زواجنا كان جحيماً، بلا أي معنى.

كادت السيدة ايليوت ان تقول شيئاً. لكنها تماسكت وتنهدت وقالت:

ـ لقد وعدت لوك الا اتكلم بالموضوع ولذلك أرجو تغيير الحديث. سأتركك لتتدبري امورك. العشاء يكون جاهزاً في السابعة والنصف. لماذا لا تأخذين دوشاً وترتاحين قليلا؟ لا شك ان الرحلة في الطائرة متعبة.

همست سارة وهي تنظر اليها متوجهة نحو الباب:

ـ شكراً.

أخذت سارة حماماً وارتدت ثوباً خفيفاً ثم تمددت على السرير وبيدها كتاب اخذته عن الرف فوق سريرها. راحت الكلمات تتارجح أمام عينيها. وضعت الكتاب جانباً وأخذت تحدق في السقف. انفتح الباب، فانتفضت وقالت:

ـ لوك! ماذا تريد؟ ألا يمكنك ان تطرق الباب قبل الدخول؟

أغلق الباب وراءه ثم اتكأ عليه وهو يرمقها بنظرة باردة. ثم سألها:

ـ هل ينقصك شيء؟

ـ كلا، شكراً. كنت على وشك ان انتزع ملابسي من الحقائب.

ـ لا تهتمي بالأمر فالخادمة ستقوم بذلك.

ـ أفضل ان أفعل ذلك بنفسي. أريد ان أجلب فستاناً ارتديه.

شعرت بتوتر، فنهضت ووضعت المئزر حولها وتوجهت نحو الحقائب المكدسة كيفما وضعها هنري. اقترب لوك لمساعدتها. ولشدة توترها اوقعت حقيبة بكاملها على كاحلها، فأطلقت صرخة ألم وذعر. سألها لوك بسرعة مقترباً منها:

ـ ماذا فعلت بنفسك؟

انحنى قربها وراح يتفحص قدمها، ثم بدأ يمسّدها بلطف، فاحتجت وقالت مرتجفة:

ـ لا شيء يستحق هذا الاهتمام.

ـ سيزرق كاحلك غداً. لماذا لم تسأليني ان أساعدك في حمل هذه الحقائب؟ هنري لا يعرف ان يفعل شيئاً بتأن. يخطر في بالي احياناً ان أخلع رقبته.

وبينما كان يتحدث معها، كان يواصل التدليك. فأمرته بصوت ثاقب:

ـ توقف، أرجوك. هذا يكفي.

فقال بصوت قاس:

ـ المعذرة. نسيت كم تكرهين ان ألمسك.

وقف ووضع الحقائب الواحدة قرب الأخرى على السرير وأشار برأسه قائلا باقتضاب:

ـ سأراك وقت العشاء. الا اذا كانت رؤيتي تزعجك.

ثم خرج من الغرفة مسرعاً وصفق الباب وراءه. راحت سارة ترتجف وارتمت قرب الحقائب. ستكون اقامتها قاسية اكثر مما تتصور. يجب عليها ان تحدثه في المساء عن رغبتها الملحة في الطلاق.

فهي غير قادرة ان تواجه وجوده مطولا في هذا المنزل.

أخذت وقتها في ارتداء ملابسها. فاختارت فستاناً بسيطاً، أبيض اللون، ضيق الخصر. ورفعت شعرها كعكة فوق رأسها وعقدته بربطة من الماس هي هدية من والدها بمناسبة عيد ميلادها. ثم وضعت حول عنقها عقداً ذهبياً فيه بعض حبات اللؤلؤ المقلدة. أخيراً انتعلت صندلا من الجلد الأبيض، مرتفع الكعب واستعدت للخروج.

وبينما كانت تهبط السلالم للتوجه الى البهو سمعت أصواتاً آتية من الصالون، انها أصوات تعرفها، تقلصت وجمدت: فيكتوريا بلير!

ماذا تفعل هنا هذا المساء؟ هل دعاها لوك الى العشاء عن قصد؟ ربما يريد ان يعلن لسارة عن رغبته في الطلاق بسرعة للزواج من فيكتوريا. هل كانت فيكتوريا تتردد الى هذا المنزل بصورة منتظمة خلال السنتين الاخيرتين؟ هل تدعى الى تناول العشاء هنا بصورة مستمرة؟

فتحت الباب وبقيت جامدة مكانها لحظة تتأمل الغرفة. لوك يرتدي بزة غامقة وقميصاً ازرق، متكئاً على المكتبة باسترخاء وبيده كأس صغيرة. اما فيكتوريا فكانت جالسة على مقعد مريح، قربه وشعور اللامبالاة يظهر على وجهها. كانت تبتسم وهي تصغي الى حديث لوك.

في البدء لم يلاحظ احد دخول سارة. ثم لمحتها السيدة ايليوت وقالت بفرح:

ـ سارة! انت رائعة. هذه الاستراحة الصغيرة افادتك. هل تتقدمين الى الداخل للقاء الآخرين؟

رفع لوك رأسه نحوها من دون ان يغيّر وقفته واستدارت فيكتوريا ببطء ورمقت سارة بنظرة باردة، في ظل ابتسامة مكبوتة.

فقالت السيدة ايليوت بعدما تأبطت ذراع سارة دافعة اياها الى الأمام ببطء:

ـ تتذكرين فيكتوريا، أليس كذلك؟ اندريا ستأتي بعد قليل. لقد ارتاحت هي ايضا وأخشى الا تكون قد تأخرت في تحضير نفسها للعشاء.

رفع لوك حاجبيه وقال:

ـ ايضا؟

نظرت السيدة ايليوت الى لوك وقالت:

ـ كن صبوراً معها يا لوك، فالنساء الحوامل لسن مسؤولات عن سلوكهن بصورة دائمة.

ـ اندريا امرأة لا تتحمل أي مسؤولية. وهذه هي مشكلتها الأساسية.

قالت فيكتوريا معلقة:

ـ هنري رجل متسامح جداً. ماذا ينتظر كي يفرض عليها سلطته! لا أفهم لماذا يلبي كل رغباتها. صحيح انه انساني ولا يحب العنف.

تدخلت السيدة ايليوت وقالت:

ـ هنري شاب لطيف جداً.

قالت سارة بعدما تركت ذراع حماتها:

ـ لم يكن من السهل لهنري ان ينمو ويكبر في ظل أخ سلطوي.

قطّبت فيكتوريا حاجبيها وقالت:

ـ أعتقد انه عاش حياة سهلة جداً. حصل على كل شيء من دون

ان يأخذ أي مسؤولية او يجابه أي قلق.

أكملت سارة بصوت جاف:

ـ شرط اطاعة الأخ الأكبر حرفياً. عندما يتلقى المرء أوامر مستمرة من شخص واحد وعليه ان يطيعه حرفياً، فليس غريباً ان يتصرف هذا المأمور بالطريقة نفسها مع انسان آخر. وفات على هنري الأوان ان يغيّر طبيعته.

احتجت فيكتوريا بصوت بارد:

ـ لا يمكنك ان تتهمي لوك بأنه هو المسؤول عن طباع أخيه.

ـ صحيح؟

سألتها فيكتوريا ببسمة هازئة:

ـ ألا تعتقدين انك غير عادلة في حكمك؟

ـ الغرباء دائماً يتبصرون الأمور.

ـ هل تعتبرين نفسك غريبة؟

تدخلت السيدة ايليوت بسرعة وقالت:

ـ لوك، قدّم كأساً لسارة. انا أكيدة انها عطشى بعد هذه الرحلة الطويلة فوق المحيط الأطلسي.

وقف لوك واجتاز الغرفة وتقدم من سارة وسألها:

ـ ماذا تحبين ان تشربي؟

ـ عصير الليمون من فضلك.

سكب لها كوباً ثم اقترب منها وقدمه اليها وهو يحدق بوجهها. فهمست تقول:

ـ شكراً.

كانت عيناه الرماديتان تشرئبان غضباً واحتقاراً. لم تعجبه

انتقاداتها أمام فيكتوريا. وأدركت سارة انه ما كان يجب عليها ان تفعل ذلك. لكن غريزتها البدائية جعلتها تنطق بهذه الكلمات بتحدٍ أليم. فاللمسة الحميمة التي شعرت بها بين لوك وفيكتوريا عندما دخلت الى الصالون ذكّرتها بالمناسبات العديدة خلال زواجها عندما كانت تنظر اليهما بغيرة لا مثيل لها.

سمعت صوتاً في البهو، ثم انفتح الباب ودخلت اندريا وهنري. كانت المرأة ترتدي ثوباً واسعاً اخضر اللون، معرّقاً بالزهور المذهبة. خدّاها كانا حمراوين وعيناها تلمعان كالبرق. لم تلاحظ وجود سارة لشدة عراكها مع زوجها.

نظرت اندريا بعدائية الى لوك وقالت:

ـ أصبت بألم في رأسي طيلة النهار. ولا أعرف لماذا تصر عليّ ان أراقب البنتين خلال ساعات عديدة وأنا في هذه الحال، بينما هناك مربية تعتني بهما. هل تحاول ان تجعلني مجنونة؟ هل تريد ان انجب ولداً بصحة جيدة، نعم أم لا؟

أجابها لوك بصوت هادىء:

ـ انت بحاجة الى بعض التمارين، كل يوم، يا اندريا. وهذا ما أمر به الطبيب. اذن، لماذا لا تأخذين الأولاد في نزهة؟ أي ضرر على الجنين ان تنزهت قليلا برفقة سوزان وبيتسي؟

ـ لاحظت انك لم تأخذهما في نزهة حتى الآن. الصعب في الأمر هو ان الفتاتين لا تطيعانني أبداً. تركضان بسرعة ولا تفعلان ما أطلبه منهما. اليوم، في غضون خمس دقائق كانتا قد اختفتا. فانبحّ صوتي لشدة صراخي، من دون أي نتيجة. كنت على وشك السقوط في الهستيريا، عندما قررتا العودة.

قالت السيدة ايليوت بصوت قلق:

ـ كوني حازمة معهما، ولا تظهري لهما عن توترك. انت عصبية جداً، في هذه الفترة، يا اندريا وهذا أمر سيىء للجنين.

رمقتها اندريا بنظرة غاضبة وقالت:

ـ لو كان الأمر ضرورياً... لفهمت ما تقولينه. ولكن الشيء يتكرر باستمرار في هذا المنزل، ويجب اطاعة اوامر لوك حرفياً. اذا قرر ان اهتم بالأولاد، فليس بوسعي الا اطاعته مهما كانت حالتي الصحية.

اقتربت سارة وأمسكت بمعصم اندريا، فوجئت المرأة وقالت باستغراب:

ـ آه، مرحبا، يا سارة. هل عدت بنية البقاء؟ لقد تصورت انك حكيمة وعاقلة! ما الذي طرأ عليك وقررت العودة الى هذا السجن؟ كان أفضل لك لو بقيت في انكلترا!

ألقت سارة بنظرة خاطفة نحو لوك وقالت:

ـ نبضها سريع وأعتقد من الأفضل ان تتمدد في سريرها.

ضحكت اندريا وقالت:

ـ هل نسيت انه لا يحق لأحد هنا ان يمرض؟ أطلبي من لوك ان يعطيك رأيه بالحمل، ودعيه يشرح لك ويقول بأن لا حجة لامرأة تتمتع بصحة جيدة الا تمرح وتتسلى عندما تكون بانتظار مولود سعيد! يتكلم كأنه خبير بذلك.

تجهّم وجه لوك ولمعت عيناه غضباً، أمسكت سارة بذراع اندريا وقالت بسرعة:

ـ سأعيدها الى الغرفة.

توتر هنري بعصبية، لا يعرف ماذا يفعل للمساعدة. فتح الباب ونظر الى المرأتين وهما تجتازان البهو. كانت سارة تشعر بنبضات قلب اندريا المسرعة وبالدموع تسيل على خديها.

ولما وصلتا الى الغرفة الواسعة التي تتقاسمها اندريا مع هنري، ساعدتها سارة في التمدد في السرير وغطتها بالشرشف الحريري. كانت اندريا ترتعش من البرد وتصطك أسنانها على بعضها. همست سارة قائلة:

ـ سأطلب من الطبيب الحضور مباشرة.

تمسكت اندريا بيد سارة وقالت:

ـ أرجوك، لا تتركيني وحدي!

جلست سارة على حافة السرير وقالت:

ـ عليك رؤية الطبيب يا اندريا.

تنهدت اندريا وقالت:

ـ لا يمكنه ان يفعل شيئاً. كنت مثيرة للشفقة الآن. لكن أحياناً أصبح مجنونة حقاً. لا تعرفي كم عانيت خلال السنتين الاخيرتين. بعد رحيلك، باع لوك الشقة التي كنتما تسكنانها في المدينة وجاء ليعيش هنا. ومن ثم بدأت علاقتي بهنري تزيد سوءاً. كنت أراه خاضعاً لسلطة أخيه وكنت لا أكف عن تحريضه. أردت ان يكون لنا بيتنا الخاص، لكن هنري لم يكن موافقاً. فهو يحب ان يعيش هنا وليس باستطاعتنا ان نؤسس منزلا.

تنهدت من جديد، فربتت سارة على يدها لتهدىء من روعها وقالت:

ـ متى تنجبين، تتغير الأمور.

هذا ما كنت أفكّر به. كنت آمل ان يغيّر مجيء الولد الوضع ويقتنع هنري بضرورة الذهاب من هنا وتأسيس منزل آخر. لكن الأمر يزداد سوءاً كل يوم.

أغرورقت عيناها مجدداً وقالت:

ـ سارة، أنا أكيدة ان هنري يعاشر امرأة غيري! لقد وجدت مراراً بطاقات كتبت بأيدٍ ناعمة داخل ملابسه. اعرف انه ليس لائقاً التفتيش في جيوبه، لكنني كنت أشعر بشك غريب... كنت أعرف انه يعاشر امرأة غيري وهذه الرسائل زادتني شكاً!

ـ هل حدثته بالأمر؟

ـ حاولت... لكنني كنت خائفة... ماذا لو كان الأمر جدياً... هذه المرة؟ اعرف انه سبق ان إرتكب خيانات... لكنني أغمضت عيني... لكن الآن، أشعر بالضعف... اشعر بالبشاعة في شكلي...

احتجت سارة قائلة:

ـ اندريا، انت رائعة. انظري الى نفسك في المرآة، اذا كنت لا تصدّقين كلامي! طبعاً انت ثقيلة الآن...

ـ ثقيلة؟ لكنني غريبة، كالطابة!

ـ انت فتاة حمقاء. هنري يحبك وأنا أكيدة من ذلك. ولا تخافي، فلا تستطيع امرأة غيرك ان تأخذ هنري منك. حين جاء ليأخذني من المطار صرّح لي انه يحبك اكثر من أي وقت آخر..

نظرت اليها اندريا مفصلا وسألتها:

ـ هل تقولين الحقيقة؟

ـ نعم، الحقيقة بكاملها. اما اذا كنت تشكين بوجود امرأة

أخرى، فعليك الا تصرحي له بالأمر. تكلمي بانشراح ولا تخافي. أما ان تكبتي ذلك وتبكي بالسر فيزداد الأمر تعقيداً وتسوء حالتك الصحية.

ـ آه، أنا مسرورة لأنك هنا! والدة هنري ذات نوايا حسنة، لكنها متأثرة بلوك كثيراً. لا أشعر بالراحة معها. انها قوية... جداً. تنتظر مثل لوك ان تراني اتمتع بصفات الزوجة الوفية والأم الصالحة. حاولت ذلك، لكنني لست قادرة ان أكون ما تتوقعه مني. الأولاد يخيفونني والمربية تخيفني وهذا المنزل أكرهه. أريد منزلا صغيراً مريحاً بامكاني ان اتصرف فيه بحرية وأكون نفسي بصورة كلية.

ـ والأولاد؟ هل انت قادرة على الاعتناء بهم وحدك، في منزل صغير؟

ـ أطرد المربية وأطلب من العمة غريس ان تعيش معنا. فهي تحب ذلك لأننا نتفق كلياً مع بعضنا. وهكذا نتدبر الأمور معاً.

أطلقت تنهدة طويلة وأضافت:

ـ ليس هذا سوى حلم لأن هنري لا يريد الذهاب من هنا.

ـ هل سبق ان حدّثته عن العمة غريس؟

ـ كلا... ولماذا؟

ـ اذن، استريحي، الآن. سأطلب من الدكتور ماثيو ان يحضر في الحال لنوضح الأمر.

خرجت سارة الى البهو، فلحق بها لوك وهنري. كان هنري قلقاً، ولوك غير مهتم. فسألها هذا الأخير:

ـ اذن؟ هل نجحت في تهدئة أعصابها؟

قالت بصوت هادىء وهي تنظر الى هنري:

ـ هنري، أطلب من الدكتور ماثيو الحضور في الحال. وقل له ان الضغط الدموي عند اندريا مرتفع للغاية، كما ان حرارتها ونبضها مرتفعان.

أسرع هنري الى الهاتف، فأمسك لوك سارة وقال:

ـ لا تتجاهلي وجودي يا سارة! لقد حذرتك، لن أدعك تسيطرين على الموقف.

أمرته ببرود:

ـ أبعد عني، أرجوك.

لمعت عينا لوك غضباً وقال:

ـ لا تستعملي هذه اللهجة معي!

ـ لا تكن قاسياً معي، اذن!

ـ تباً لك يا سارة. تحاولين جهدك حتى أغضب وأفقد هدوئي.

ـ هه، هه. يكفي لذلك شيء بسيط. اما بالنسبة الى اندريا، فسأكلّم هنري بالأمر. اعتقد انني وجدت حلا لمشكلتها لكن الأمر يتعلق بهنري ولا علاقة لك انت به.

قال غاضباً:

ـ كل ما يتعلق بأي فرد من هذه العائلة، وداخل هذا المنزل يتعلق بي ايضا.

ـ ما يجري بين رجل وامرأة لا يخص الا هما. طلبت مني اندريا ان اساعدها وأرجوك ان تدعنا وشأننا. يبدو لي انك تفرض سلطتك فيما يتعلق بحياتها، أليس كذلك؟ وأنت لم تتمكن من انجاح زواجك.

بغضب أمسك بها وجذبها اليه. فراحت تتخبط من دون جدوى. امسكها بمعصميها وكانت تسمع نبضات قلبه وكلماته عندما قال:

ـ لقد ذهبت بعيداً، يا سارة. هناك دائماً اثنان كي ينجح الزواج. واذا فشل زواجنا فذلك بسببك انت.

خارت قدماها وبدأت تتنفس بصعوبة لشدة ما كانت متوترة من قربها اليه. حاول عناقها، لكنها رفسته بقدمها للتخلص منه، فأطلق شتيمة ألم وأبعدها عنه وراح يمسد كاحله ويقول:

ـ لقد سببت لي ألماً حاداً.

ـ هذا ما كنت أنويه.

ادارت له ظهرها وراحت تبحث عن هنري في مكتب لوك. كان يقفل السماعة عندما دخلت. رفع رأسه وقال:

ـ سيصل الطبيب في الحال، ماذا يجب فعله الآن، يا سارة؟

أجابت في الحال:

ـ مغادرة هذا المنزل واصطحاب اندريا معك.

ـ لا يمكنني ان أقدم لها الترف الذي اعتادت عليه.

ـ انها تعرف ذلك تماماً. لكنها لم تعد تطيق البقاء هنا مع لوك. تريد منزلا خاصاً وتريد عمتها غريس لتساعدها في تربية الأولاد.

ـ العمة غريس؟ لكنها تسكن في شيكاغو.

ـ حسبما قالت اندريا، انها تكره العيش هناك وستتحمس لفكرة المجيء الى هنا والعيش معها.

ـ آه، هذا حلم، فقط لا غير. انت تعرفين اندريا! فهي ربة منزل سيئة ولا تعرف أي شيء عن هذا الأمر. انها اعتادت الى وجود الخدم والمال المتوفر بكثرة. اذا عشنا في منزل وحدنا، سنضطر للاقتصاد في المصروف وأنا أكيد اننا سنعود الى هنا قبل مرور عام واحد.

ـ ولماذا لا تحاول؟ . . أنا افهمها جيداً، يا هنري. عاشت في بادىء الأمر مع والدتك ولم يتسن لها التصرف بحرية منذ البداية. انها تجربة جديدة ولن تعود تحت رحمة لوك.

لمعت عينا هنري وقال:

ـ معك حق. هل تعتقدين ان الأمور ستجري كما يجب؟

ـ لا أعرف، لكن لماذا لا تحاول؟

ابتسمت له وقالت:

ـ هيا، يا هنري وتشجع في تحمّل العقبات! حتى ولو كان ذلك لسنة واحدة.

ـ ولوك؟ ماذا سيقول؟

ـ أهذا أمر مهم؟

ـ أنت صادقة على ما أظن ولا تخافين منه.

ـ انه عجوز! لسنا دائماً كفوئين أمامه، لكن لا احد يمنعنا من ان نحييه ونذهب.

ـ هذا ما فعلت. لكنك عائدة!

ـ حتى أنال الطلاق، فقط لا غير.

ابتسم هنري وقال:

ـ لا أصدق قبل أن أرى. . .

٦-لوك يكشف اوراقه طالباً من سارة البقاء مدة أطول كزوجة من أجل الحصول على ما يريده في المجال التجاري . . . يريدها لمدة وجيزة فقط وهي اكتشفت اخيراً انها لا تحب بيري كما كانت تعتقد.

تم العشاء في جو مضطرب. هنري كان مع الطبيب قرب اندريا، وبدت السيدة ايليوت عصبية ومتوترة. وظل لوك عابساً طيلة السهرة. وحدها فيكتوريا تمكنت من فتح الحديث. كانت تسأل سارة عن انكلترا وعن الطقس هناك والموضة والوضع السياسي. وكانت سارة ترد على أسئلتها بانفتاح واسترخاء محاولة تهدئة الجو.

ومن حين الى آخر كان لوك يحدّق بسارة. لكن سارة كانت غير قادرة ان تستشف تعبير وجهه. فجأة أبعد فنجان القهوة بحركة عنيفة وقال:

ـ لماذا لا نذهب الى المنزل الريفي لقضاء عطلة الاسبوع هناك يا أمي؟

فرحت السيدة ايليوت وقالت:

ـ يا لهذه الفكرة الرائعة! من زمان لم نذهب الى الريف. لكن يجب ان يكون المنزل حاضراً، سأتصل بالسيدة جاكيس وأطلب منها ان تفتح النوافذ كلها، ثم بعد اغلاقها ان تشعل التدفئة المركزية.

أشار برأسه موافقاً وألقى نظرة خاطفة الى سارة وقال:

ـ لماذا لا تأتين معنا يا سارة؟ «مجنون» هناك، هل تتذكرينه؟ كعادته ما زال يفضل الجبل، ويعيش الآن مع السيدة جاكيس.

آه «مجنون»! الذي كان هدية لوك لمناسبة عيد زواجهما الأول. وتذكرت عندما جاء به لوك الى المنزل ووضعه على ركبتيها ببساطة وقال: «خذي، هذا الكلب لك».

كانت تطلق أصواتاً فرحة بينما كان الكلب يتمرّغ في ذراعيها:

آه، لوك، انه كلب جميل!

ـ انه انكليزي مثلك. ينتمي الى فصيلة السبنيلي صغير، قصير القوائم طويل الوبر كبير الأذنين ويستعمل للصيد.

ولعبت يومها على البساط مع الكلب الصغير وكاد لوك ان يدوسه وهو يدخل الغرفة. فقال حينذاك:

ـ مجنون! سأدعوه «مجنون» لأنه كلب مختل لم يسبق ان رأيت مثله من قبل. انظري كيف يأكل البساط! كفى، يا «مجنون»! يا ايها الأحمق، ستمرض!

بعدئذ لم تكف سارة عن اللحاق بالكلب لتمنعه من أكل الزبدة والحبل والرسائل... كان كالماعز، يأكل كل شيء. ومحاولاتها في ان تعلمه المشي كانت تفرح لوك الذي لم يكف عن الضحك. لكن سرعان ما كانت تحمله عندما يبدأ باصدار نواح مؤلم معلناً عن تعبه.

وأصبح «مجنون» رفيقها الحميم لا تفترق عنه لحظة، خاصة ان لوك بدأ يغيب عن المنزل ويعمل حتى في عطلة الاسبوع. لولاه لكانت على شفير الجنون. وعندما قررت الرحيل أرادت ان تصطحب «مجنون» معها الى انكلترا، لكنها أدركت انه سيضطر للبقاء في الكرنتينا الطبية مدة ستة أشهر. ولم تكن قادرة على تحمل فكرة ان ترى كلبها المرح والحيوي، محجوزاً طيلة النهار في قفص، ينبح محاولا الخروج ولا يستطيع. اخيراً قررت ان تتركه في اميركا ليتمتع بحريته.

كانت تحب ان تراه من جديد، هزت رأسها وقالت بعد ان رمقت فيكتوريا بنظرة خاطفة:

ـ ستتكلم بالأمر فيما بعد.

قالت فيكتوريا بصوت هادىء وهي تقف:

ـ في كل حال، أنا ذاهبة الآن، مساء الخير يا لوك، مساء الخير يا سيدة ايليوت، مساء الخير يا سارة.

نهض لوك وقال:

ـ سأوصلك الى المنزل.

ـ شكراً، لقد جئت بسيارتي.

ـ اذن سأوصلك حتى السيارة.

تبعها فقالت:

ـ شكراً.

نظرت سارة الى الباب ينغلق وراءهما. وكلما ابتعدا في البهو، كلما خفتت اصواتهما. ثم صفق الباب الخارجي وعمّ الصمت. ومرت الدقائق ببطء. ماذا يفعلان؟ هل يقبلها لوك قبلة الوداع؟ وبعد وقت

تهيأ لها انه أبديّ، سمعت الباب من جديد ودخل لوك. نهضت السيدة ايليوت في الحال وقالت:

ـ اذن، سأصعد الى غرفة اندريا واطمئن عليها يا لوك. ثم سأتوجه الى غرفتي لأنام.

ـ حسناً.

عاد ليأخذ مكانه أمام الطاولة. فأضافت والدته بابتسامة:

ـ تصبحين على خير يا سارة.

أرادت سارة ان تذهب هي ايضا بدورها، لكنها خافت ان يعتبر ذلك لوك سلوكاً تهربياً، فظلت مكانها تحدق فيه.

دخلت الخادمة الفيليبينية الى غرفة الطعام وسألت صاحب المكان اذا كان بامكانها ان توضب المائدة. فنهض لوك من مكانه وأجابها:

ـ طبعاً... سارة؟

مدّ اليها يده، ومثل سائرة في نومها، فوجئت باعطائه يدها. وخرجا من الغرفة بمظهر وفاق، يدها بيده. قادها لوك الى الصالون وأجلسها على مقعد طويل ابيض وسألها اذا كانت تحب احتساء شيء ما، فأجابته:

ـ كلا، شكراً. سأذهب بعد قليل الى فراشي. أشعر بالنعاس والتعب.

جلس قربها ووضع ذراعه على ظهر المقعد وراء رأسها. فتقلصت وبدأت تقول:

ـ لنتحدث عن موضوع الطلاق، ما رأيك؟

أجابها لوك بصوت كسول:

ـ نعم؟ وماذا؟

ـ علينا ان ننظم الأمور، أليس كذلك؟ حسب السيد كلايت، من الحلول ان اصبح مقيمة في احدى الولايات التي تتم فيها معاملات الطلاق بسرعة.

ـ هذه امكانية جيدة.

وبيده الحرة لمس يد المرأة الموضوعة على ركبتيها وقال:

ـ كم جلدك ناعم!

ـ كفى يا لوك!

ـ صحيح؟ لا تقولي هذا لي من فضلك. سنتان من دون امرأة، أمر صعب وطويل، يا سارة.

أجابت بصوت ساخر:

ـ هل تريد اقناعي بأنك عشت من دون امرأة؟

ـ معك حق، يا سارة. لقد تعشيت وتحدثت مع النساء. لكنني لم أغازل ولا واحدة منهن.

نظرت اليه غير مصدقة وقالت:

ـ كنت اتصور... فيكتوريا؟

ردد وهو ينظر اليها غير مصدق:

ـ فيكتوريا؟ صحيح انها جميلة وجذابة. لكنك مخطئة اذا ظننت ان فيكتوريا تكتفي بهذا النوع من العلاقة التي تلمحين اليها.

ـ لماذا؟ ستطلب الزواج، أليس كذلك؟

لقد وضع يده حول كتفيها وانحنى نحوها وأصبح قريباً الى درجة انها بدأت تسمع صوت تنفسه فقالت بسرعة:

ـ كفى، يا لوك، أرجوك.

ـ كفى ماذا؟

رفع يدها ووضعها على فمه ثم قبلها. فشعرت بقشعريرة حادة، فسحبت يدها بسرعة ونهضت واقفة أمامه، دفعها الى المقعد من جديد، فنبهته قائلة:

ـ لا اعرف ماذا تخطط؟ لكن لا جدوى لكل هذا. أريد الطلاق. أريد ان أصبح حرة.

تنحنح قائلا بعد ان استرخى في جلسته:

ـ هذه هي المشكلة...

ـ ماذا تعني؟ انت تعرف سبب وجودي هنا. لقد وعدتني بالموافقة على الطلاق اذا جئت الى هنا.

ـ وما تزال هذه نيتي يا سارة. لكن، منذ اقامتي الأخيرة في انكلترا، تغيرت الأمور بعض الشيء.

ـ انها حيلة جديدة، أليس كذلك يا لوك؟

حدقت به من دون ان تعرف حقيقة تعبير وجهه المغلق. فهو يعرف دائما ان يضللها اذا ما رغب بذلك.

ـ أنا الآن بصدد البدء بتجارة هامة، ذات أهمية كبيرة في حياتي. أريد التضامن مع شركة مهمة لأشكل اتحاداً عالمياً. كل شيء كان يسير على ما يرام الى ان واجهتني مشكلة جديدة أريدك ان تساعديني على تخطيها.

ـ ماذا تعني، لم أفهم.

ـ رئيس الشركة هو استاذ كبير، لكن نظرته الى الحياة بالية وأفكاره حول الزواج صارمة وغريبة. اذا عرف اننا في صدد المباشرة بمراسم الطلاق، فسيضع نهاية للمباحثات الجارية بيني وبينه.

وبينما كان يتكلم كان يراقبها بنظرات غريبة كلها ألغاز. ثم

أضاف:

ـ وهذا أمر شديد الأهمية بالنسبة الي. ان احقق هذا الحلم القديم سيكون تتويجاً لعملي الطويل. لا أريد لمؤسستي ان تنمو في مكانها، أريدها ان تتطور حتى تعم العالم.

ـ لكن لا شك ان صاحبك يعرف اننا منفصلان ولا أحد يجهل ان كل واحد منا يعيش على حدة منذ سنتين. الصحف توكلت بنشر الخبر على ما أظن.

ـ نعم، أعرف ذلك. لكنني قلت له انك عدت الى انكلترا للاهتمام بوالدك المريض وصدق كلامي. في الواقع انه يعتبرك امرأة رائعة.

ـ يا لك من انسان خبيث! لقد تجرأت واستعملت والدي كحجة للوصول الى هدفك... هذا امر لا اسمح به!

قطب حاجبيه ونظر اليها بانزعاج ثم قال:

ـ هذه هي الحقيقة. ألم تهتمي بسام كل هذه المدة؟ حتى ولو لم تهجريني، كنت احترمت رغبتك للعودة عندما علمت بخطورة حالته الصحية. من البدء، ودائماً، كنت قريبة اليه اكثر من أي انسان آخر في حياتك. لم يكف سام عن تدليلك وكنت تكنين له الوفاء والمحبة بشكل لا يرقى اليه الشك.

هتفت بمرارة:

ـ بأي حق تنتقد والدي؟ كان أعظم انسان على هذه الأرض.

قال بقسوة ومرارة:

ـ كنا صديقين، سام وأنا. وأنا كنت أشعر تجاهه بالمحبة وكنت صريحاً معه، وسبق ان قلت له هذا الكلام عدة مرات. كان متسامحاً

الى درجة انه عاملك بدلال ولبى جميع رغباتك. وكذلك كنت تنتظرين ان يعاملك الرجال كأميرة، لأن سام كان يتصرف معك على هذا النحو. كنت تبحثين في الرجل عن والد آخر متسامح وليس عن زوج.

التفتت اليه وهي ترتجف غضباً وصفعته بكل قواها. أمسكها لوك بشدة وأرغمها على الجلوس وسط الوسائد وضغط عليها كي يمنعها من النهوض. فراحت تتخبط زائحة رأسها أبعد ما يمكن. لكنه أمسك بذقنها بين أصابعه الحديدية وأرغمها على النظر اليه مباشرة. فصرخت بصوت أجش:

ـ لا!

ـ انت امرأة جميلة يا سارة. أي رجل، يسيل الدم في عروقه، لا يمكنه ان ينظر اليك من دون ان يريدك...

ثم راح يعانقها بشغف ورغبة ولم تعد قادرة على مقاومته. استيقظت حواسها فجأة وأغمضت عينيها... وأصبحت بين يديه كالعجينة حتى ولو كانت ما تزال تشعر تجاهه بالكراهية والعدائية.

رفع لوك رأسه ليراها. كانت ممددة بين الوسائد، وشعرها هالة حول وجهها الأحمر وعيناها مغمضتان.

ـ كيف بامكانك ان تكوني جذابة وفي الوقت نفسه حمقاء، عنيدة، غير ناضجة؟

فتحت عينيها ونظرت اليه. كان نبضها يخفق بقوة. فقال بصوت غاضب:

ـ هيّا، انهضي.

نهض لوك بحركة كبرياء ودفع شعره الى الوراء بسرعة. جلست

سارة، حمراء الوجه وبحركة سريعة سوّت شكلها فقال لها:

ـ حسناً. اذا تصنعت القيام بدور الزوجة السعيدة خلال الشهر المقبل، حتى موعد توقيع العقد، أعدك بأن أطلقك بسرعة في المكسيك او لاس فيغاس. سأقدم لك نفقة مالية محترمة وسأقسم بأنني لن أقول للسيد دوريل ان زوجته «في المستقبل» امرأة حمقاء فاسدة وغير ناضجة.

قالت باحتقار كبير:

ـ أشكرك على هذا الكرم الحاتمي.

ابتسم لها بسخرية وقال:

ـ سيكون دوريل سعيداً لو يعرف كم كنا الآن على وشك السقوط في الحب من جديد، أليس كذلك؟

ـ لا علاقة لبيري هنا!

ـ كما تريدين. اذا تزوجت من دوريل، فستنسجمان معاً، لأنه أحمق مثلك.

ـ شكراً.

ـ اذن، ما رأيك باقتراحي؟

ـ سأفكر بالأمر.

ـ أريد جواباً في الغد. فالرئيس آدم كروسشاير مدعو الى العشاء الثلاثاء المقبل. اذا كنت موافقة على هذا الاقتراح، فأريد معرفة ذلك قبل عطلة الاسبوع.

ـ اذن سأعطيك الجواب في الغد. والآن سأذهب الى النوم.

ـ وحدك؟

نظرت اليه باشمئزاز ورددت:

- وحدي.

- تصبحين على خير. أرجو ان تكون احلامك جميلة!

خرجت سارة من دون ان ترد عليه. وما ان وصلت الى غرفتها حتى جلست على السرير وخبأت رأسها المشتعل بين يديها المرتجفتين. لقد تصرفت بحمق...

ثم قالت لنفسها: انا اكرهه... لكن... عندما يلمسني، ينغلق عقلي ولا أعود قادرة على التفكير. في أعماقها رغبة ملحة في ان تكون بين ذراعيه. ولا أي منطق قادر ان يطرد هذا الشعور من داخلها. كأنها تعاني من ازدواجية في شخصيتها. عقلها يقول لها ان لوك ما زال رجل الأعمال غير الرؤوف الذي جعل من زواجها جحيماً بعد ان تجاهلها كلياً. لكن قلبها أو بالأحرى حساسيتها المكبوتة، تستيقظ كلما وجدت امامه.

وفكرت بالشهر الطويل الذي ينتظرها لتتصنع بأنها زوجته السعيدة وناحت بصوت مؤلم. كيف ستتمكن من تحمّل ذلك؟ ان تعيش باستمرار امام أنظار لوك، وتتحدث اليه وتبتسم له كأن شيئاً لم يكن؟ سيكون ذلك عذاباً لا تستطيع تحمّله. وهي تعترف الآن بمضض ان نظرة لوك الساخرة تجاه ضعفها ستكون عذاباً لم يسبق ان عانت مثله من قبل.

خلعت ملابسها وجلست في سريرها. وفي الظلام ظلت تفكر بهذا السؤال. لكنها كانت تعرف انها ستوافق على عرضه مهما كان الثمن. وفي لحظة صدق، اعترفت لنفسها بأن الوضع لن يزعجها حتى ولو عرفت بأنها ستتعذب لأن فكرة العيش بضعة أسابيع مع زوجها فيها نعومة مرة لا يمكنها مقاومتها.

وما ان طلع الفجر حتى أخذت القرار النهائي بالنسبة الى بيري: لا يمكنني الزواج منه. سأكتب اليه وأخبره بذلك. سأخدعه اذا تركته يعتقد انني سأحبه يوماً وأنا أعرف ان ذلك مستحيل لأنني لا استطيع ان احب انساناً آخر.

التقت بلوك في البهو حاملا بين يديه ربطة رسائل وبلمحة سريعة نظر مفصلا الى فستانها الكاكي البسيط ومنديلها الأصفر المعقود حول عنقها. فسألها بصوت جاف:

- هل نمت جيداً؟

كذبت عليه وقالت:

- جداً.

- تبدين هكذا بالفعل.

أعلنت وهي تزيح رأسها جانباً:

- لقد قررت الموافقة.

ران صمت قطعه لوك اخيراً:

- حسناً. كنت أعرف بأنك ستوافقين.

قالت بمرارة:

- انت دائماً واثق من نفسك. لكن سيأتي يوم وتجد نفسك مخطئاً كالآخرين. لا يمكنك ان تكون دائماً على حق.

ابتسم بسخرية وقال:

- هل تراهنين على ذلك؟

وخلال فطور الصباح أعلن هنري فجأة:

- لقد قررت مع اندريا الا نأتي معكم الى الجبل في نهاية الاسبوع. سنذهب للبحث عن منزل.

وضعت السيدة ايليوت ملعقتها جانباً ونظرت الى ابنها بمرح وقالت:

ـ ستذهب للبحث عن منزل!

رفع لوك نظره عن الرسالة التي كان يقرأها وهز حاجبيه وقال:

ـ هذا أمر مناف للعقل.

نظر هنري اليه بهدوء وقال:

ـ تريد اندريا الحصول على منزل خاص بها.

قال له لوك بابتسامة ساخرة:

ـ هذا هو منزلها. لا يمكنها ادارة منزل من دون مساعدة. لا تتبهور بمالك، يا هنري. والا لاضطررت ان تبيع بخسارة.

رفع هنري ذقنه بتحدٍّ وقال:

ـ هذه قضيتي ولقد قررت. لقد حان الوقت ان نملك منزلا كأي زوجين في هذا العالم. الأمور لا تسير جيداً عندما تعيش عدة عائلات تحت سقف واحد. ستشعر اندريا بتحسن عندما تعرف انها تملك منزلا خاصاً بها وبي وبأولادنا.

ضحك لوك بقسوة وقال:

ـ انت مليء بالأوهام واندريا امرأة مهسترة وفاشلة كلياً. والمنزل ليس سوى واحد من أحلامها العديدة. وخلال شهر ستبكي ندماً وحسرة.

نظرت سارة الى هنري ورأت الانزعاج واضحاً في عينيه. رمقها بنظرة متوسلة كأنه يطلب منها مساعدته. فقالت بصوت هادىء:

ـ أحياناً يفشل الانسان لأنه قرر ان يكون فاشلا.

سألها لوك وهو ينظر اليها بغضب:

ـ هل تتفضلين بشرح فكرتك بوضوح؟

هزت كتفيها وقالت:

ـ انت تكره النساء يا لوك، أليس كذلك؟ تحكم عليهن بأنهن ضعيفات ومحسوبات على أزواجهن وتابعات. تريدهن هكذا... كي ترتاح كبرياؤك الرجولية. لقد أرغمت اندريا ببساطة ان تتقيد بشروط منافية للمعقول.

نظر اليها نظرة باردة ونفى قائلا:

ـ لم أفرض على اندريا شيئاً. لقد اخترعت أنت هذه النظرية آملة ان تغطي بها اخطاءك الفادحة. تفضلين ان تلوميني على ان تلتزمي بمسؤولية أفعالك. اندريا حجة، فقط لا غير.

ـ ارجع عن هذه الحجة. وحاول ان تنظر الى الأشياء برأي مختلف. ماذا تحاول ان تخفي وراء هذه الارادة في اقناع نفسك بأن النساء ضعيفات ولا يصلحن لشيء؟

ـ لا تلعبي دور الطبيب النفساني يا حبيبتي.

نهضت السيدة ايليوت ودفعت كرسيها وقالت:

ـ كفى! لوك، هدىء من روعك.

كان رأسها مستقيماً كالملكة والشمس ترسم هالة فضية في شعرها الأبيض وقالت:

ـ هنري على حق. حان الوقت كي يملك منزلا. كل الأزواج بحاجة الى الجلسات الحميمة. وهنا لا مجال للحصول عليها. أي عراك يتطور الى شجار كبير. ويكفي النظر اليك عندما تكون مع سارة! الجمهور يزيد الحادث البسيط سوءاً، ويوتر الجو بين المتشاجرين.

ثم نظرت الى هنري وقالت:

ـ جد لنفسك منزلا ولا تسمح للوك ان يمنعك من الاستقرار فيه. حان لك ان تعيش حراً وتستقر وتعيل نفسك وعائلتك.

ثم غادرت الغرفة في الحال. شعر هنري بالانزعاج ونظر الى اخيه ثم نهض وخرج بدوره.

دفع لوك صحنه الملىء ونظر الى سارة بغضب وقال:

ـ عم تبحثين؟ تريدين ايقاع الخلاف بيننا؟ هل انت مسرورة الآن؟

ـ مسرورة جداً.

شتم بصوت منخفض وقال:

ـ احياناً بوسعي ان اخلع رقبتك!

ـ احياناً فقط؟

رنّ الهاتف في مكتبه. نهض وخرج. اكملت سارة فطورها ولما عاد اليها بعد قليل، كان مكفهر الوجه.

ـ كانت ستيفاني تتحدث معي الآن. ستأتي مع سوزان لرؤيتك. ستأخذان الطائرة اليوم وستبقيان هنا لقضاء عطلة الاسبوع معنا في الجبل. اخشى ألا تكوني مضطرة للقاء أفراد العائلة الغائبين ايضا.

ـ أنا احب ستيفاني وسوزان حباً كبيراً. كنا متفقات دائماً. لقد عرفتا كيف تبتعدان عنك.

ـ اذن شقيقتان ليستا مظلومتين بسيطرة الأخ البكر الظالم العنيد؟

ـ انهما متزنتان وتزوجتا من شابين ذكيين بيل وجيمي رجلان متينان يعرفان التفرقة بين سفّاح وعاقل.

ـ يا الهي!

صفع الباب بعنف وابتسمت بالاتجاه الذي اختفى منه.

ستيفاني تكبر سوزان بسنوات معدودة. كان لها ثلاثة صبيان عندما التقت بها سارة لأول مرة. شعرها اسود مثل لوك وعيناها زرقاوان مثل والدتها، لكنها كانت تتمتع بشخصية خاصة، سريعة وقادرة وسلطوية ومستقلة. زوجها بيل كان يرى فيها أنوثتها وحسب. يدير معمل معلبات في الغرب. بيتهما فاخر وأنيق وأصوات الصبيان الحيويين لا تفارقه.

سوزان كانت تكبر سارة بسنتين عندما تزوجت من جيمي وهو طبيب كاليفورني مشهور. قصيرة مثل والدتها وعيناها بنيتان وشعرها اشقر. لها ابنة في الثالثة من العمر. وحسب الرسائل النادرة التي وصلت الى سارة خلال السنتين الاخيرتين، تبدو حياتهما مليئة وسعيدة.

وتساءلت سارة اذا كانت زيارتها بهدف منعها من أن تكون من جديد سجينة مخالب لوك. ابتسمت لهذه الفكرة الممكنة. هذا امر رائع. والأمور لن تكون سهلة بالنسبة الى لوك. لقد حصل منها بالخداع ان تلعب دور الزوجة المثالية السعيدة، لكن لا شك انهما سيتعرضان لمفاجآت في الأوقات الحميمية. لقد سبق ان حذّرتها والدته بأن لوك يكره ان يسخر احد منه. جرح شعورها وكرامتها عندما استسلمت سارة له لمجرد لمسة صغيرة. اما اليوم فهي مستعدة لتحمل اقتحامه وعازمة على مقاومته.

*

وصلت ستيفاني وسوزان الى منزل العائلة ولقيتا ترحيباً صخباً. وما ان استقرتا حتى سألتهما السيدة ايليوت بلوم:

ـ لماذا لم تجلبا الأولاد معكما؟ ألا يحق لي ان أرى أحفادي؟

قالت ستيفاني شارحة:

ـ يا امي العزيزة تركنا اولادنا عن قصد. وقررنا المجيء من دونهم اذ حان لنا الوقت ان نأخذ بعض العطلة. ووصول سارة كان حجة مناسبة.

ودعمتها سوزان قائلة:

ـ بالفعل! هناك دائماً أعمال عديدة تنتظرني. ومللت الغسل والطبخ والرد على الهاتف بصورة مستمرة. فزوجة الطبيب عبدة للهاتف. أنا مسرورة لأنني سأقضي هنا يومين من دون ان أقوم بأي عمل نهائياً. هذه هي السعادة، السعادة القصوى!

وافقت ستيفاني على كلامها بهز رأسها وقالت:

ـ برافو! احملوني على المقعد وضعوا كرسياً صغيراً تحت قدمي ولا تزعجوني!

دخلت اندريا متلألئة بفستانها الأبيض. فابتسمت لدى رؤية سلفتيها وقالت:

ـ آه! كيف حالكما؟ هنري وأنا بصدد شراء منزل لنا. ما رأيكما بذلك؟

وافقت ستيفاني بحرارة قائلة:

ـ انها افضل فكرة توصل اليها هنري في حياته حتى الآن. أهنئك.

احتجت السيدة ايليوت قائلة:

ـ ما دمتما انتما الاثنتين قد هربتما من منزلكما مثل لاجئتين هاربتين من الأولاد المزعجين، لا أرى كيف تسمحان لنفسيكما ان تهنئا

اندريا.

قالت ستيفاني:

ـ ادارة المنزل أمر ربما يكون مرهقاً، لكن العيش تحت سقف واحد مع لوك أسوأ بكثير.

صرخت السيدة ايليوت متوترة وغاضبة:

ـ آه، يا ستيفاني، انت امرأة غير عادلة. لوك كان دائماً أخاً مثالياً معك. ألم يساعد زوجك في مشاريعه؟

ـ طبعاً ونحن متشكران له كثيراً. لكن لماذا، حسب رأيك، أردنا ان نستقر على الساحل الغربي وليس هنا؟ ذلك كي نكون على مسافة بعيدة من لوك. هذا هو السبب! لوك يدير العائلة مثلما تحكم الملكة اليزابيت العرش البريطاني. كان علينا اطاعة أوامره والارتباط بقوانينه، واذا تذمرنا، يغضب سيّد المكان.

احتجت السيدة ايليوت وقالت:

ـ عاش لوك حياة قاسية. وعندما أفكر به عندما كان صغيراً كيف كان يعمل بقسوة من أجلكم جميعاً، أشعر بحاجة الى البكاء، كان عليك ان تشكريه بدلا من أن تلوميه!

تنهدت سوزان وهي تنظر الى والدتها بحنان:

ـ آه، يا امي. نحن متشكرون له كثيراً وأنت تعرفين ذلك تماماً. نحن نحب لوك ونعي جداً العذاب الذي قاساه، لكن العيش تحت جناحه عملية مختلفة. لا أنا ولا ستيفاني فوجئنا برحيل سارة. كانت تعيش حياة النساك في هذا المنزل وكان لوك يكرّس كل حياته في العمل تاركاً زوجته الى قدرها الحزين ساعات وأياماً بلا نهاية. وهذه الحياة لا تستحقها فتاة في العشرين من العمر، أليس كذلك؟

اضطربت السيدة ايليوت وقالت:

ـ سوزان، لا يجب عليك التدخل بهذه الأمور...

قاطعتها سارة بصوت حازم:

ـ لا، بالفعل. الأفضل عدم التحدث عن زواجنا. ولنضعه جانباً. لنتحدث عن عطلة الاسبوع في الريف. ما رأيك يا ستيفاني لو نركب الخيل هناك؟ هل تتذكرين يا ستيفاني يوم ركبنا الخيل ورحنا في نزهة طويلة؟

ـ كان ذلك روعة. كما لعبنا بالغولف، هل تتذكرين؟ كنت فاشلة ولم أر في حياتي لاعباً فاشلا مثلك.

ضحكت سارة:

ـ وأنا أكيدة انني لم اتطور في هذا المجال. لم أمارس الغولف منذ وقت طويل.

ـ أنا أحياناً ألعب الغولف مع زوجي بيل عندما يكون أمامنا المجال للتخلص من الأولاد.

قالت السيدة ايليوت بلوم وعتاب:

ـ الذي يسمعك يقول بأنك لا تحبين صغارك المساكين.

عبست وصرخت:

ـ لكنني أعبدهم، يا امي. خاصة عندما يكونون في السرير. يأكلون كثيراً ويصرخون بدل التكلم ويحطمون كل شيء بدربهم. انهم أولاد أشقياء.

غمزت سوزان شقيقتها وقالت:

ـ ابنتي ماري تلعب احياناً وحدها من دون صراخ، لكن الدمار الذي تتركه وراءها يحتاج الى ساعات للتوضيب. وطوال النهار اشكر

الله لأنه ارسل لي ابنة تكتفي باللعب بدميتها بدلا من ان تتسلق الأشجار وتكسر ساقها. في الاسبوع الفائت جاءت ستيفاني لزيارتي مع الأولاد، وقام الصبيان بحوادث لا تحصى.

نظرت اندريا اليها بخوف وقالت:

ـ وأنا التي أتمنى ان أنجب صبياً هذه المرة! ابنتاي شقيتان ولم أتصور ان هناك أشقى منهما!

ـ صدقيني الأولاد الأشقياء كثيرون.

قالت السيدة ايليوت:

ـ ما أفكر به هو انكن جميعاً امهات غير جديرات! ماري فتاة ناعمة، وكذلك بيتسي وسوزان.

نهضت ستيفاني وقهقهت ثم قالت:

ـ حتى انت، يا امي، غير قادرة ان تصفي أولادي الصبيان.

ـ ان أولادك ايضا رائعون.

ـ نعم، فقط اليوم الذي يعطيهم والدهم بعض المال.

تنهدت اندريا وقالت:

ـ أنا مسرورة لمجيئكما في هذا الوقت بالذات. وبامكانكما ان تقولا لهنري انه على حق في الذهاب والاستقرار في منزله الخاص. يخاف الا أكون على المستوى المطلوب. لكنني أردد على مسمعه بأنني أفضل أن أعاني الفشل في منزلي ولا عند الآخرين.

أجابتها ستيفاني:

ـ لا، لن تفشلي. عليك انت ان تختاري طريقة الحياة التي تريدين عيشها، وليس لوك. واذا كنت لا تحبين القيام بالمهمات البيتية، بامكانك ان تطلبي مساعدة احد. وهنري لديه الامكانيات لذلك.

المهم ان تكوني انت وهنري سعيدين.

ابتسمت لها اندريا بحرارة:

ـ انت على حق، هذا اهم ما في الأمر. ومتى اصبح لهنري منزله الخاص أنا أكيدة بأن الأمور ستسير افضل مما هي عليه الآن.

ـ وأنا أشاطرك الرأي.

تنهدت السيدة ايليوت وقالت:

ـ انتن جميعاً على حق. ولن يمكث في هذا المنزل الكبير الا أنا ولوك.

رمقت ستيفاني سارة بنظرة خاطفة وقالت:

ـ اذا سارة ولوك اعلنا طلاقهما، ربما يتزوج لوك مرة ثانية وينجب الأولاد ويعمر المنزل من جديد.

شعرت سارة بألم في قعر معدتها. وتخيلت أولاداً بشعرهم الأسود وعيونهم الرمادية يلعبون على العشب الأخضر في حديقة المنزل، بينما تراقبهم والدتهم، لا شك انها ستكون امرأة رائعة، متأبطة ذراع لوك...

هذه الصورة أثرت بها كثيراً الى درجة الشعور بالمرض.

٧- سارة تمضي وقتاً طيباً مع لوك في ممارسة لعبة الغولف وفي المساء تستقبل السيد كروشاير. لكن نومها لن يكون سعيداً بعد الذي رأته من النافذة في آخر السهرة...

كان المنزل الريفي واسعاً الى درجة كبيرة وقادراً على استيعاب عدة عائلات. الحديقة الشاسعة والمرج اليانع يحدان المنزل من جانب واحد. وهناك أرض مسوّرة في آخر المسكن حيث المكان الأفضل لركوب الخيل. لكن اليوم الاسطبل فارغ وما زالت تفوح منه رائحة القش والسواد.

قالت سارة موجهة حديثها الى لوك:

ـ أنا اتذكر هذا المنزل تماماً. انه شاسع وكبير.

ـ نعم انه يشبه مزرعة صغيرة، لكن لا نقضي فيه سوى عطلات الاسبوع احياناً.

كانت سارة قد ارتدت ثياباً خاصة لركوب الخيل ونظرت حولها

وقالت:

ـ أنا جاهزة. لكن أين الجميع؟

ـ آه، هذه هي ستيفاني.

ظهرت شقيقته خارج المنزل وفي شعرها تعبث الريح ووجهها احمر... تبعتها سوزان مرتدية سترة رمادية وحذاء عالياً قديماً.

كان ميدان الخيل يقع على بعد كيلومترين فقط. الأسوار البيضاء مطلية حديثاً والخيول على استعداد للركض.

أوقف لوك سيارته في المرآب ونزلت النساء الثلاث الى الاسطبل. تقدمت منهن فتاة شابة نحيلة وراحت تنصحهن باختيار الخيل ثم ركوبها والقيام بدورة حول الميدان للاعتياد عليها.

بعد قليل انطلقت سارة على حصان من اختيارها، بخطى بطيئة متخذة الممر الواسع بين منظر الأشجار وشعرت فجأة بالحرية والحيوية. كانت قد نسيت هذا الاحساس السعيد الذي كانت تشعر به كلما امتطت حصاناً في صباح جميل.

وكانت ستيفاني وسوزان تتبعانها بهدوء، بينما جلس لوك قربها. اسرعت سارة خطواتها وراحت الريح تصفر في أذنيها، وحوافر الخيل تبعث وراءها بغيوم من الغبار.

صاح لوك قائلا:

ـ خففي من سرعتك، يا سارة.

التفتت الى الوراء وابتسمت له وقالت:

ـ ولماذا تريدني ان أخفف من سرعتي؟ فأنا أتسلى وأمرح!

وبعد قليل بدأت الطريق بالانحدار نزولا، فأسرع الحصان متحمساً. حاولت ايقافه، من دون نتيجة. وراحت الأشجار تتابع

بأقصى سرعة. اخيراً تمكن لوك من بلوغها ووجهه مملوء بالقلق. تسلّم الزمام فسمعته يصرخ، ثم خف ركوبه ونزل ارضاً. كانت سارة ترتجف في كل انحاء جسمها. رمقها لوك بنظرة قتالة وقال:

ـ يا لك من فتاة حمقاء! كان بامكانك ان تقتلي نفسك!

ـ لقد نسيت كلياً هذه الطريق المنحدرة.

ثم سألها بصوت ناعم:

ـ كيف تشعرين؟

رفعت ذقنها وقالت:

ـ جيدة، شكراً.

وصلت ستيفاني قربها وسألتها:

ـ ماذا جرى؟ هل انت تحت تأثير الصدمة، يا سارة؟

ـ كلا. كل شيء على ما يرام، شكراً.

لكنها لم تكن تفكر الا بالعودة الى المنزل، خائفة الا تتمكن من اخفاء انفعالها تجاه لوك مدة أطول.

وباتفاق متبادل قررا صعود التلة. وما ان وصلا الى الميدان حتى قفز لوك بسرعة عن حصانه لمساعدة سارة في الهبوط، اذ لم تكن تملك قوة المناقشة، وتركته يتأبط ذراعها، ثم ضمّها لحظة اليه، قبل ان يضعها أرضاً. وما ان وصلت الى المنزل حتى صعدت لتوها الى الحمام لأخذ حمام ساخن. كانت تفرك جسمها بقوة بمنشفة ناعمة عندما سمعت الباب ينفتح. دهشت واستدارت لتجد نفسها وجهاً لوجه مع زوجها. بسرعة حاولت قدر المستطاع ان تلف المنشفة حولها. كانت حمراء خجلا.

ـ ألا يمكنك ان تدق الباب قبل الدخول الى الغرفة؟ كم من مرة

تريدني ان أردد ذلك على مسمعك؟

قال لوك بصوت كسول:

ـ هذا التصرف ربما أدهش السيد كروشاير. فهذا النوع من اللياقة غير وارد بين رجل وزوجته...

ـ هل سيبقى طويلا؟

ـ سيصل هذا المساء وقت العشاء. عندما قلت له انني سأمضي عطلة الاسبوع هنا، افهمني انه سيلبي دعوتي اذا دعوته. وكان صعباً عليّ ان أرفض ذلك.

قالت باستغراب وذعر:

ـ التمثيل خلال سهرة واحدة أمر ممكن. لكن التمثيل خلال أيام متواصلة، بينما يعرف بقية سكان هذا المنزل بمشاريع طلاقنا، هذا امر...

قاطعها قائلا:

ـ الجميع هنا على علم بالخطة فيما يتعلق بكروشاير. وسيحفظون السر، حتى ستيفاني.

سمعت قلبها ينبض بسرعة جنونية. وهي لا ترتدي سوى منشفة تلفها. رفع لوك نظره ببطء الى جسمها وقال:

ـ ستشعرين بالبرد اذا بقيت هكذا.

ـ اذا تفضلت وتركتني ارتدي ملابسي...

ـ لقد سبق ورأيتك ترتدين ملابسك مئات المرات. لا تنزعجي من وجودي. أريد ان أحدثك بأمر مهم.

صرخت به قائلة:

ـ لن أرتدي ملابسي ما دمت باقيا هنا.

هز كتفيه بمرح وتوجه نحو النافذة قائلا:

ـ حسناً، سأدير لك ظهري. الشيء الوحيد الذي يقلقني، يا سارة، هو أنت. لا أجوبة لاذعة ولا كلمات جميلة وجيدة. يجب علينا تأليف جبهة متحدة.

ارتدت ملابسها الداخلية وراحت تبحث في خزانتها عن فستان مناسب. واختارت الأبسط. ثم بتنهد ارتياح التفتت ووجدت لوك ينظر اليها.

ـ برافو! لم تكف عن رؤيتي!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه وقال:

ـ ما زلت نحيلة جداً. تمكنت من عدّ اضلاعك. انت بحاجة الى التغذية المستمرة.

مرت امامه لتأخذ ساعة يدها الذهبية لكنه أمسك بالساعة قبلها وراح يقلبها في أصابعه.

ـ كان اسمك محفوراً بالفضة على السلسلة التي أهديتك اياها. لكن هل هذه هدية من سام؟

ـ نعم.

ـ من غيره، بالفعل؟ لم تكوني بحاجة الى زوج، أليس كذلك؟ لقد رباك سام بدلال. كنت ابنته الحبيبة، ودميته، من المستحيل مقاومته. كان بحاجة اليك وكنت تتمنين ان يكون الرجال على صورته.

ـ سام كان يحبك.

ـ طبعاً. كنا نحب بعضنا البعض. لكن ذلك لم يمنعني من الغيرة.

نظرت اليه غير مصدقة:

ـ الغيرة؟ ليس الأمر جدياً.

وضع ساعتها جانباً وأمسكها بكتفيها وقال:

ـ بلى، كان الأمر شديد الجدية، يا سارة. كان يتهيأ لي بأنني أصارع ظلا. لو كان اي رجل آخر لأختلف الأمر. . . لكنه كان الطيبة بذاتها. كان دائماً يقف بيننا: الأب المثالي، الصديق المثالي. . . كنت ترددين ذلك صبحاً ومساء. لقد وضعت هالة حوله وأظهرت له اعجاباً شديداً.

ـ لكنه كان يستحق ذلك.

رجعت الى الوراء وعيناها تلمعان غضباً وأضافت:

ـ كنت دائماً مأخوذاً بالعمل، اما هو فلا. كنت أراه غالباً وأكثر مما كنت أراك خلال مدة زواجنا. نعم، أصبحت شقتنا سجناً، حتى قبل مرضه. كان سام قد عوّدني ان يكرّس لي وقتاً، كل يوم. اذا سافر، كان يأخذني معه. لكن ذلك لم يحصل معك، يا لوك. كنت تتركني لقدري المحزن.

ـ وأنت، هل كنت تريدين حقاً ان اتصرف حرفياً مثل سام. تذكّري أنني كلما تأخرت في المكتب، كنت تتصلين بي هاتفياً.

ـ لكنك أوقفت هذه العادة بعد ان أعطيت الأوامر لسكرتيرتك. هل تساءلت مرة ما كان شعوري عندما اكتشفت ذلك؟ وفهمت في الحال ان حياتي معك تتلخص ببعض احتفالات العشاء ونادراً بأوقات حنونة. كنت دميتك، يا لوك، لكنني لم أكن دمية بالنسبة الى سام. كنت تقدم الي الهدايا وتعتبرني ملكيتك. اما سام فكان والدي، والدي المحب الحنون. انت، لوك. . . كنت تملكني. . .

قال بغضب بارد بعد ان دفعها الى السرير:

ـ وما زلت دائماً.

وضغط عليها بشدة، حتى أصبحت غير قادرة على التخلص منه. وبغضب قالت:

ـ انا لست ملكاً لأحد. ابتعد عني في الحال.

فجأة دفعته جانباً وبسرعة نهضت وأصبحت قرب الباب وصرخت تقول:

ـ حاول مرة واحدة ايضا، وأرفض التعامل معك.

ـ يا لك من امرأة شريرة! لقد سخرت مني.

خرجت لكن لوك تبعها، وبيده فرشاة الشعر وقال:

ـ خذي وسرّحي شعرك المشعث!

التفتت به وتناولت الفرشاة. رفعت سارة شعرها بشكل كعكة بينما ظل لوك متكئاً على الباب يحدق بها. فجأة اقترب منها وطبع قبلة على عنقها وقال:

ـ انت امرأة جذابة.

اجتازتها قشعريرة وقالت:

ـ كفى! لقد سئمت ألعابك.

همس واصبعه تلمس ظهرها:

ـ ماذا لو نعاود الكرة؟

ـ لن يحصل شيء! انت لم تتغير.

ـ اما انت، فلقد تغيرت. كنت قد تزوجت من فتاة صغيرة، فأجد نفسي الآن امام امرأة واثقة من سحرها وجذابة.

ظلت صامتة لقوة التجربة، ثم هزت رأسها بحزم وقالت:

ـ كلا، يا لوك. لا جدوى لذلك. أريد الطلاق.

ـ لتتزوجي من دوريل؟

ـ اسمع. هذه قضيتي! وكل واحد حر في اختياره.

ـ لو تتمتعين بشجاعة قليلة، لجعلتني مجنونك. ولفعلت اي شيء للمحافظة عليك، لكنك اخترت الحل السهل وهربت.

ـ السعر كان مرتفعاً ولم أكن أريد ان أكون ملكيتك. والا لفقدت كبريائي وعزة نفسي. لكن عندما ذهبت استرجعت احترام نفسي وحاولت المحافظة عليها.

استدارت وهبطت السلالم من دون ان يحاول ايقافها.

*

همست ستيفاني الجالسة بارتياح على المقعد:

ـ هذه فكرة عبقرية! من زمان لم استرح ولم ابقَ من دون عمل. حتى الشمس انضمت الينا.

كانت سوزان تدهن يديها بمسحوق مرطب ولوك يدور حول نفسه كالدب في القفص.

ـ يا الهي، كم الغسيل يتلف الجلد. فملابس ماري الصغيرة دقيقة... ومن المستحيل وضعها في الغسالة.

صرخ لوك قائلا:

ـ كفى تأففاً! ولماذا لا تأتيان انتما الاثنتين للقيام بلعبة الغولف؟

قالت ستيفاني:

ـ طبعاً لا. لقد قررنا الا نتحرك طيلة بعد الظهر.

ـ وأنت، يا سارة؟

ترددت ثم قالت:

ـ ولم لا؟...

شعر لوك بالانتصار وابتسم لشقيقتيه وقال:

ـ الى اللقاء...

قالت ستيفاني لسارة:

ـ هل جننت؟ لا تذهبي. لوك يلعب الغولف كالمحترف.

ـ هذا ما احب معرفته.

فتح لها لوك الباب، فخرجت ضاحكة.

احتسيا كأساً في النادي قبل الذهاب الى الأرض المخصصة للغولف. كان عليها ان تبدأ اولا فأطلقت الكرة بطريقة جعلت لوك يقول:

ـ يا الهي، أنت أسوأ مما كنت عليه.

وقف وراءها وأمسك معصميها وقال:

ـ اديري جسمك...

هذا الدرس أفرحها. كانت يدا لوك تضغطان على معصميها وكتفاه تلمسان كتفيها. هذا الاتصال يزداد شعلة واضطراماً مرة بعد مرة. راقبته بدورها عندما أطلق الضربة الأولى، كان جسمه الطويل رشيقاً وشعره الأسود مشعثاً بالريح. وفهمت في الحال انها في صدد الوقوع في غرامه من جديد. انها تلعب لعبة خطرة، وتخشى ان تحطم قلبها مرة ثانية اذا لم تتصرف بحذر.

كانا يتقدمان ببطء. فلوك لاعب ماهر ومنتظم. يطلق الكرة باعتناء. وسارة تضرب الطابة بكل قواها وكانت سعيدة جداً. فالسماء تلمع والهواء ناعم.

قال لوك غامزاً:

ـ قبل ان ننهي اللعب، اعرف انني الرابح.

ـ المعارك كلها لم تربحها بعد. لكن عليك ان تخسر من وقت الى آخر، يا لوك.

قال بصوت ناعم:

ـ آه، لن أخسر ابداً.

ـ انت ما تزال واثقاً من نفسك كل الثقة؟

اقترب منها وهمس بأذنها:

ـ لا يخسر الانسان ما دام يصر على الربح.

ـ سأتذكر كلامك.

وفي طريق العودة الى المنزل كانت السماء تشرف على المغيب والأفق يضطرم. استقبلتهما ستيفاني أمام المدخل سائلة:

ـ ماذا؟ كيف كان اللعب؟

ـ لم أر في حياتي لاعبة أسوأ منها.

قهقهت ستيفاني وقالت:

ـ لم تتغير اذن. على فكرة، وصل المدعوون وأعطتهم امي الجناح في الطابق الثاني. هل هذا مناسب؟

ـ عظيم.

ـ ضيوف؟ هل جاء السيد كروشاير مع زوجته و...

ـ انه أرمل. لقد اصطحب معه فيكتوريا. فهي تهتم بهذه القضية.

انقبض قلبها لسماع كلمة فيكتوريا. فصعدت الى غرفتها لتجهز نفسها حتى يحين موعد العشاء. وبينما كانت ترتدي ملابسها كان عقلها يفكّر بسلوك لوك منذ وصولها. هل ما زال فعلا يحبها ام انها حيلة من اجل ان يحقق الصفقة المنتظرة؟ انها تعرف انه عديم الشفقة

وقادر ان يقوم بهذه الوقاحة. وأصابها غثيان لمجرد تذكر عناقه والرعشة التي تجتاحها كلما لمسها. انها امرأة مكبوتة، من دون حب لمدة سنتين. وهو يعرف كيف يوقظ أحاسيسها وكيف يعذّبها للحصول على جواب حار.

نظرت الى نفسها في المرآة. جلدها ناعم وشعرها مالس وفستانها الأبيض الحريري يليق بها تماماً. وبالرغم من امتنانها من نفسها لا تشعر انها في مستوى فيكتوريا التي تسحرها بجمالها وذكائها. فيكتوريا تعمل مع لوك وأينما كان لوك فهي دائماً معه.

عندما نزلت الى قاعة الاستقبال كانت فيكتوريا هناك في ثوب أحمر شفاف. شعرها الأسود يظهر بياض بشرتها. كانت تبتسم للوك متأبطة ذراعه. ولما دخلت سارة ابتعدت عن لوك ونظرت الى المرأة من دون حماس.

ـ آه، بشرتك متوردة هنا، يا سارة، الجبل يؤاتيك.

أجابتها سارة متشكرة:

ـ شكراً.

دخل رجل نحيف وراءها، فاستقبله لوك بابتسامة حارة:

ـ ها أنت يا آدم. سأعرفك بزوجتي. سارة... آدم كروشاير.

مدّت له يدها مبتسمة. لقد أحبته في الحال. عيناه محاطتان ببعض التجاعيد الصغيرة... ربما لشدة الضحك... كان لطيفاً وبشوشاً.

امسكت فيكتوريا ذراعه وتقدمت به نحو خزانة زجاجية عرضت في داخلها التحف القديمة العائدة للقرن الثامن عشر وقالت له:

ـ تعالَ! أنظر الى هذه الأشياء المصنوعة من الخزف. هل تعجبك؟

ـ آه، أفضّل ان أراها عن قريب.

أخذ لوك مفتاحاً من جيبه وقال:

ـ ليس أسهل من هذا.

فتح الخزانة وأمسك بقطعة صغيرة وناولها لآدم. فقال هذا الأخير:

ـ هل لاحظت التوقيع يا لوك؟ انها قطعة رائعة جداً. من الذي يجمعها، انت ام زوجتك؟

ـ كلا، انها امي.

ـ آه! آه، والدتك امرأة ساحرة وذكية، اذا سمحت لي باطرائها.

نظر لوك حوله وقال:

ـ ها هي، امي، يقول عنك السيد كروشاير كلاماً جميلا.

اضطرب آدم وأسفت عليه سارة. لكن السيدة ايليوت فرحت بهذا الاطراء وقالت:

ـ شكراً، يا آدم. هذا لطف منك. هل تحب الخزف الصيني؟ لدي افضل من هذه. تعال...

نظرت فيكتوريا الى لوك وقالت:

ـ والدتك ربحت معركة.

قال لها بصوت منخفض:

ـ كل ما أطلب هو ان يكون سعيداً.

وخلال العشاء، جلست سارة بين لوك وآدم كروشاير. وبذل لوك جهده ان يبقى الحديث شاملا. وسمع آدم بمرح حديث ستيفاني وسوزان وحكاياتهما حول الأولاد. اما سارة فراحت تطرح عليه الأسئلة حول عائلته. فحدثها عن ولديه ثم قال فجأة:

ـ ما زالا متأثرين بفقدان والدتهما. وأنا كذلك. كانت تساعدني كثيراً في عملي. كانت أماً رائعة.

ـ كم مضى على وفاتها؟

ـ سنتان. لقد علمت انك فقدت والدك أخيراً، أليس كذلك؟ هل كنت متعلقة به كثيراً؟

هزت رأسها بحسرة وقالت:

ـ نعم، متعلقة به كثيراً.

شعر لوك بالضغط يتصاعد في الجو، لكنه ظل محدقاً بآدم الذي قال بلطف:

ـ الزمن يشفي كل شيء.

كانت فيكتوريا جالسة قرب آدم من الجهة الثانية، فطلبت من لوك قائلة:

ـ هل تملأ كأسي من فضلك؟

آه، يا لها من امرأة ثمينة، هذه الفيكتوريا! تعرف ان تغيّر الحديث في الوقت المناسب وهذا ما كان ينتظر لوك منها. لماذا لم يتزوجها اذن قبل سنوات؟ ربما كانت المرأة المثالية!

بعد العشاء تهيأ لسارة ان الوقت مسألة أبدية غير منتهية. كانت ترغب في الذهاب الى فراشها ولم تجرؤ على الانسحاب. لم تكن تصغي الى كلام لوك. اخيراً نهض لوك معلناً موعد الرحيل. فاختفت فيكتوريا بابتسامة والجميع تبعوها بسرعة.

خلعت سارة ملابسها وهي تتثاءب ونظرت الى الباب فلم يكن المفتاح فيه. لكن، هل يريد لوك شجاراً جديداً هذا المساء؟

تمددت في سريرها وسمعت فجأة اصوات خطوات. فنهضت الى

النافذة، ورأت لوك واقفاً على طرف العشب الأخضر، يتأمل ضوء القمر. فجأة ظهرت فيكتوريا بثوبها الأحمر.

تكلما مدة قصيرة بصوت منخفض لم تتمكن سارة ان تفهم شيئاً منه. لكنها شعرت بالغيرة خاصة عندما وقفت فيكتوريا على رؤوس اصابعها لتودع رفيقها.

عادت سارة الى الفراش بسرعة وخبأت رأسها بين يديها. اذن الأمر حقيقي. فيكتوريا ولوك... كانت تتعذب كثيراً. اغمضت عينيها. آه لو لم تشهد هذا العناق!

٨- اللعبة الاجتماعية تسير على افضل وجه الا ان فيكتوريا تبدو متضايقة من قرب سارة ولوك، الا ان السيد آدم يمضي عطلة طيبة. سارة تكتشف موهبة جديدة لدى لوك...

استيقظت سارة في صباح الغد بشيء رطب وحار قرب وجهها. ففتحت عينيها ورأت الكلب «مجنون» قربها وعيناه مليئتان بالحنان. فصرخت:

ـ آه! «مجنون»! كيف حالك آه كفى... اعطني ساقك. هيا اعطني ساقك.

قال لوك:

ـ لقد نسي براعته.

فوجئت سارة بوجود لوك، فرفعت عينيها. كان واقفاً قرب طرف السرير، مكتف اليدين، مرحاً وقال:

ـ لقد جئت به الآن من عند السيدة جاكس.

لقد زارا هذه المرأة بالأمس، لكن «مجنون» كان قد ذهب الى الصيد مع ابن السيدة جاكس. فلم يتسن لها رؤيته قبل الآن.

ابتسمت وقالت:

ـ شكراً. انظر. انه يتذكرني! بعد سنتين! ومن يقول ان لا ذاكرة عند الحيوانات؟

ـ طبعاً انهم يتمتعون بالذاكرة.

نظر اليها وهي تداعب الرأس الناعم وقال:

ـ ما رأيك بنزهة صباحية قبل موعد الفطور، هذا اذا ارتديت ملابسك بسرعة؟

رمقته بنظرة جانبية وقالت:

ـ اذا انتظرتني في البهو، فسأكون جاهزة بعد خمس دقائق.

ابتسم بسخرية وقال:

ـ اقسم الا انظر اليك؟

ـ لوك!

ـ ما دمت مصرّة... سأراك بعد خمس دقائق!

وعندما ذهب وضعت أصابعها حول فروة «مجنون» وهمست قائلة:

ـ ماذا سأفعل بهذا الرجل، يا مجنون؟ في المساء راح يعانق فيكتوريا، واليوم يبدو انه نسي ذلك. هل تعتقد انه يعاني من ازدواجية في الشخصية؟ بدأ يتغير منذ ان جاء الى هنا. وفي الأمس قضينا معاً وقتاً ممتعاً... مثل الأيام الأولى لزواجنا. لم اعد افهم شيئاً، يا «مجنون». لو فقط اعرف ما بوسعي عمله!

نظر اليها «مجنون» مليئاً بالأمل، فأضافت:

ـ انت لا تفهم شيئاً، يا «مجنون»، أليس كذلك؟ بالنسبة اليك لوك هو المعلم... وأنت تحب ذلك. آه، لو كنت مثلك، لكانت الحياة سهلة للغاية! للأسف أرفض ان أبقى في جحري بانتظار ان يقبل معلمي اللعب معي.

نبح «مجنون» كأنه فهم ما تقوله، فابتسمت له ونهضت من سريرها. اخذت حماماً سريعاً وارتدت تنورة مكسرة وسترة دافئة. ثم هبطت الى البهو برفقة «مجنون».

عبروا المرج حيث ثمار الفاكهة ثقيلة على الأغصان ووسط الأشجار خلية نحل. والنحل هنا وهناك يمتص رحيق الزهور. الشمس تبذل جهداً لازالة الضباب الصباحي. قال لوك:

ـ يجب ان أرسم هذا المكان.

تعجبت سارة وقالت:

ـ ان ترسمه؟

احمرّ وابتسم بخجل وقال:

ـ نعم. الرسم اصبح هوايتي المفضلة.

اندهشت سارة للأمر. فهي لم تتوقع ابداً ذلك منه. اذ تعتقد بأن لوك يكرس كل وقته في الصفقات التجارية.

ـ هل تريني لوحاتك؟

هز كتفيه وقال:

ـ لست سوى هاو بسيط.

ـ لا يهم، ما دمت تحب الرسم.

عادا الى المنزل بالرغم من احتجاجات «مجنون».

ولما وصلا الى غرفة الطعام كان آدم كروشاير يأكل البيض ويقرأ

الصحف في الوقت نفسه. فقال بابتسامة عريضة:

- صباح الخير. نهضتما باكراً.

- ذهبنا في نزهة مع الكلب. اجلسي هنا يا سارة، هل تريدين بعض الذرة.

- كلا، سآخذ خبزاً محمصاً فحسب.

- يجب ان تأكلي جيداً. خذي بيضاً على الأقل.

- حسناً.

ثم جلس لوك قربها ودهن الزبدة على قطعة خبز محمصة وقال آمراً:

- كلي البيض بهذا الخبز.

- صحيح يا لوك؟ انا لست طفلة!

لكن ذلك لم يمنع لوك من ان يسكب لها القهوة مع الكريما الدسمة. وفوجئت لشهيتها. كان آدم قد وضع الصحف جانباً ناظراً الى سارة مبتسماً ويقول:

- منزلك رائع، يا سارة.

- بالفعل. وعادي جداً، أليس كذلك؟

- اقنعتني السيدة ايليوت بمرافقتها الى الكنيسة وسأكون مسروراً اذا جئت معنا.

- بكل سرور.

- وأنت يا لوك؟

- طبعاً. انا اكيد ان كنيستنا ستعجبك. عمرها مئة سنة.

صعدت سارة الى الغرفة لتغيّر ملابسها استعداداً للذهاب الى الكنيسة. فارتدت بزة توركوازية وقبعة من القش. ابتسم لها لوك

باعجاب. هو ايضا غيّر ملابسه وارتدى بزة غامقة تليق به كثيراً.

قال لها:

- كأنك خرجت لتوك من صحيفة موضة الأزياء.

دخلت فيكتوريا ونظرت اليهما باندهاش وسألت:

- الى أين؟

- الى الكنيسة.

- هل تمزحان؟

كلا. نذهب دائماً الى صلاة الأحد عندما نأتي الى هنا. والدي دفن هنا، ونحن نزور ضريحه دائماً.

في هذه اللحظة ظهر آدم برفقة السيدة ايليوت وأعلنا موعد الرحيل. ونظرت فيكتوريا اليهم بأسف لأنها المرة الوحيدة يتركها الجميع وراءهم. حتى ستيفاني وسوزان كانتا مستعدتين للذهاب. ذهبوا في سيارتين. آدم اخذ معه السيدة ايليوت ولوك اخذ سارة وشقيقتيه.

في الكنيسة، كانت الألحان تنبعث من ارغن قديم. فهمس لوك باذن سارة:

- انهم بحاجة الى ارغن جديد.

- وماذا تنتظر لتقدمه هدية للكنيسة؟

شعر بالسخرية في صوتها ورمقها بنظرة موارية. لكن عندما سلّم بشدة على يد القس، قال له بجدية:

- احب ان أقدم لك ارغناً جديداً. دعني اعرف المبلغ الذي تريده.

شكره القس كثيراً وفي طريق العودة مدحت ستيفاني أخاها لكرمه

الحائمي.

أعلن آدم خلال الغداء قائلا:

- سأضطر للرحيل بعد الظهر. لدي موعد مهم في صباح الغد.

استدار نحو السيدة ايليوت وأضاف قائلا:

- هل يريد احد الاستفادة من سيارتي والنزول معي؟

قالت له السيدة ايليوت:

- كم أنت لطيف. سأفرح بالأمر، لأن عددنا كبير.

وضعت فيكتوريا ملعقتها جانباً وسألت:

- في أي وقت تريدني ان أكون جاهزة، يا آدم؟

قال متردداً:

- لا أريدك ان تتقيدي بي. هذا المكان رائع. ولا شك، يا لوك، انه بامكانك ان تجد مكاناً لفيكتوريا؟

ظلت فيكتوريا بلا حراك. فابتسم لوك وقال:

- طبعاً. بامكانها الاختيار: اما الجلوس قرب ستيفاني وسوزان في المقعد الخلفي، اما العودة مع الخدم.

تدخلت ستيفاني قائلة:

- انا سأعود مع الخدم. اريد التأكد من ان المنزل محكم الاقفال.

نظرت فيكتوريا الى سارة بغضب وقالت:

- ربما تفضلين يا سارة ان تغلقي المنزل بنفسك، بدلا من ستيفاني.

قال لوك بكسل:

- لا، افضل ان تكون زوجتي الى جانبي. شكراً، يا فيكتوريا. لكنني لا أريد سارة ان تبدأ في الحال بالأعمال المنزلية الروتينية.

اريدها ان ترتاح وتغيّر افكارها.

وافق آدم مبتسماً لسارة وقال:

- انت على حق. اللون لا يسيء لبشرتها الانكليزية. انت شاحبة، يا سارة.

استغل لوك هذا الكلام ليضع في صحنها قطعتين من الروستو، فرمقته بنظرة غاضبة فقال لها:

- اسكتي وكلي. هل سمعت كلام آدم؟

يا للخبث! كل هذا الجهد من اجل آدم! هي اكيدة انه يفضل مرافقة فيكتوريا.

بعد الغداء قامت سارة بنزهة قصيرة في الحديقة برفقة آدم. حدثها عن انكلترا حيث كان يذهب مراراً. كان يحب المنازل القديمة في بلاد الانكليز ويعشق الخزف الانكليزي. تناولوا الشاي في فترة العصرونية، وكان الحطب يشتعل في المدفأة وامامها ينام «مجنون» حالماً. ساعة الحائط ترن كل نصف ساعة.

مد آدم قدميه وتنهد بامتنان وقال:

- لقد قضيت حقاً عطلة رائعة. عائلتك مضيافة ومتحدة، يا لوك. هذا ما ينقصني بعد وفاة زوجتي. الزواج اجمل شيء في الوجود. انا لا افهم الناس عندما ينفصلون لأتفه الأمور. لم يكن زواجي في منتهى الكمال، لكننا كنا سعيدين بالرغم من كل شيء.

أعلنت السيدة ايليوت وهي تقدم لآدم السلطة:

- حظك كان كبيراً. وأنا ايضا شعرت بالنقص عندما توفي زوجي ولذا افهمك جيداً. العلاقة السعيدة في الزواج هي مسألة ارادة والاتفاق هو السر.

- ومجيء الأولاد تتويج للزواج.

ابتسم آدم بخجل وتابع يقول:

حان لكما الوقت ان تنجبا، يا لوك. واذا كنت وقحاً اعذرني.

احمرت سارة وألقت نظرة خاطفة الى زوجها. كان صوته هادئاً عندما قال:

- ربما.

غيّر آدم الحديث وراح يتحدث عن الخزف مع السيدة ايليوت. وبعد ساعة انطلق آدم في سيارته مصطحباً معه والدة لوك. وبعد ان ودعهما الجميع، تنهدت ستيفاني وقالت:

- أوف! انه رجل طيب، لكن الجو متوتر احياناً. قل لي، يا لوك، ألم تجد ان آدم له ميل نحو أمي؟

التفت لوك باتجاه فيكتوريا التي ابتعدت مكفهرّة الوجه. فسألت ستيفاني وهي تتبعها بالنظر:

- ماذا بها؟

- ما زلت تتصرفين بما يخرق العادة او العرف!

- لا تقل لي بأنها مهتمة بآدم؟ فهو في ضعف سنها!

قالت سوزان بهدوء:

- لكنه غني وذو مقدرة كبيرة. ألم تلاحظي شيئاً؟ أصبحت فيكتوريا حزينة وكئيبة، يوماً بعد يوم. وحادثة السيارة؟ فهي تفضل ان تذهب مع لوك مكان سارة!

قالت ستيفاني ضاحكة:

- تصوروا والدتي مع عريس يتقدم للزواج منها! وبعمرها!

أجابت سوزان:

- ولم لا؟ ما زالت أمي نضرة وينظر اليها آدم مثل الخزف الثمين الذي يجب امتلاكه.

احمرت سارة غضباً وقالت:

- أكره ان يعتبرني الرجل هكذا.

أمسكها لوك بذراعها وقال:

- حان الوقت كي تذهبي للراحة قليلا.

- كفى معاملتي كطفلة!

- اذن كفى التصرف بطريقة طفولية.

اختفت الشقيقتان من الصالون، فتفحص لوك زوجته وقال:

- احياناً اشعر برغبة في ان اهزك كشجرة الخوخ.

- حاول اذن!

- لماذا تطاولت على سوزان بهذه اللهجة الوقحة؟

- آدم وأنت تشبهان بعضكما، أليس كذلك؟ تعتبران النساء كالأشياء. عندما اسمع احداً يتكلم عن تسوية، أخشى الا تكون المرأة وحدها هي السبب وليس زوجها. لأن الزوج منهمك كثيراً بأعماله.

- كم أنت حادة الذهن!

أدارت له ظهرها من دون ان ترد عليه، وصعدت السلالم مسرعة. لحق بها لوك وأمسك بذراعها وسمّرها مكانها.

- ما بالك يا سارة؟ لا أعرف أين أنا. امس كنا متفقين واليوم، الا تبالين بي.

- لقد رأيتك في الامس مع فيكتوريا.

احمرّ وجهه وزمّ عينيه وقال بصوت سريع:

- اسمعي. سأشرح لك...
- لا أريد شرحاً، دعه لنفسك! لا فائدة منه...
- لا أفهم.
- بل أنا أفهم جيداً. لا شيء تغير. كنت دائماً تجد الوقت لفيكتوريا. وخلال فترة زواجنا كنت تراها مرتين اكثر مني. لماذا لم تتزوجها، يا لوك؟ هذا ما لم أفهمه.

حدق فيها بانفعال شديد وأضاف:

- ما معنى هذا كله؟ لم تحاولي ابداً فهم رأيي. لقد حكمت على زواجنا منذ البداية معتبرة ان دوري الوحيد هو البقاء معك كل الوقت. اذا عدت متأخراً اجدك باردة كالثلج. اذا سافرت، تعتبرين انني أذهب للقاء عشيقتي. تريدينني مربوطاً بحبل، مثل «مجنون»...
- هذا ليس صحيحاً!
- حسناً. اذن ماذا تريدين؟

قالت والدمع يتلألأ من عينيها:

- كنت أريد ان أراك اكثر من مرة واحدة في الاسبوع. أريد زوجاً يأتي الى العشاء، ويصطحبني الى المسرح والى السينما، ويكون رفيقاً وصديقاً.

سألها بقسوة:

- ألم تلاحظي انني كنت أقوم بعمل مكان عشرة اشخاص. نعم كنت مضطراً ان أكون دائماً في العمل.
- هناك اشخاص يعملون جهدهم ليأخذوا وقتاً حراً.
- من؟ هل تعنين سام؟
- بالفعل. فهو لم يتركني ابداً.

- ربما، لو راقب جايسون مراقبة افضل، لما اختلس له هذا الأخير مليون دولار؟
- ماذا؟

أجهشت بالبكاء واتكأت على الحائط مرتجفة. ثم قالت بصوت متقطع:

- ليس هذا خطأ والدي، انما غلطتي انا. انا المسؤولة...
- كلا. لدي براهين ان خطة جايسون لم تكن حديثة العهد. الخبراء ما زالوا بحاجة الى اسابيع وشهور كي يتوصلوا لمعرفة الأمر مفصلا. وكان مفروضاً على سام ملاحظة ذلك.

صرخت بغضب:

- اعتقد انك كنت تكره والدي!
- اخرسي! تريدين ان يسمع الجميع ما تقولينه؟
- لن اخرس!

دفعها الى غرفته وأغلق الباب وراءه.

- انت لست بحاجة الى زوجة، يا لوك. فليس عندك الوقت لتكرسه لها. ولهذا السبب لم تتزوج من فيكتوريا. لماذا تزوجتني، اذن؟
- اهدأي، ارجوك! لا تعرفين ما تقولين.
- بالعكس، لم أكن واضحة مثل الآن. أريد الطلاق ساعة تمضي العقد مع آدم. واذا حاولت ان تمسكني بالقوة مرة اخرى سأعود الى انكلترا وأبدأ بمراسم الطلاق هناك.

توجهت الى الباب وقبل ان تخرج اضافت:

- لو كنت مكانك لتزوجت فيكتوريا. انها المرأة التي تناسبك.

واذا انتظرت طويلا ربما تزوجت من رجل آخر ثري. فهي امرأة طموحة كما لمحت مراراً.

تقدم لوك من النافذة واضعاً يديه في جيبي سرواله. نظرت اليه واذا بعينيها تقعان على لوحة فوق السرير. فجأة لاحظت انها تمثل صورتها، في الفستان المخملي الذي ارتدته في لقائهما الأول.

وبالرغم من غضبها تأثرت باللوحة وعرفت صانعها. فسألته:

ـ متى رسمتها؟

صمت قليلا ثم أجاب من دون ان يلتفت بها:

ـ منذ سنتين.

ـ رسمتها حسب صورة فوتوغرافية.

ـ كلا.

حدقت بظهره وقالت:

ـ انها... انها رائعة. لم أكن أعرف انك موهوب الى هذه الدرجة.

لم يرد عليها. فاقترحت عليه:

ـ أحب ان اشتريها منك.

التفت اليها وعيناه تلمعان غضباً:

ـ لم اتصور ان وقاحتك مبالغة الى هذه الدرجة.

اقترب منها وأمسك بها بحدة وقال:

ـ هل تعرفين ما احب عمله؟ اما ان اخنقك، او ان ارطم رأسك بالحائط! ان أبيعك اللوحة؟ افضل ان ارميها في النار!

هزها بعنف فقالت:

ـ لوك، أنا آسفة. لم تكن نيتي شتمك. لقد... لقد أحببت هذه

الصورة. وتصورت انك لا تريد الاحتفاظ بها بعد طلاقنا.

ـ اخرجي من هنا قبل ان افعل شيئاً أندم عليه.

هربت خائفة. لم يسبق ان رأته بهذه الحالة. لقد فقد السيطرة على نفسه. لكن ما سبب هذا الغضب الشديد؟

www.rewity.com مـــروريـــة

٩-بيري يتصل من مطار لندن قائلاً انه آت الى نيويورك ويريد تناول العشاء مع سارة، فماذا تفعل؟ تحاول اخباره الحقيقة بعد العشاء لكن لوك يقتحم الغرفة ويقع ما لا تحمد عقباه؟

وفي صباح الغد لم يكن احد من سكان المنزل الريفي يعبّر عن حيوية وبشاشة خلال وجبة الصباح. ستيفاني وسوزان تأكلان الخبز بسهو وغياب. لوك منغمس في صحيفته يشرب القهوة من دون كلمة. وحدها فيكتوريا تبدو جائعة، لكن سارة تشك بأنها تتصنع ذلك لأخفاء توترها الداخلي. وكلما نظرت اليها تراها تحدّق بالصحيفة التي اختبأ وراءها لوك.

كانت طريق العودة سريعة. اوصل لوك الفتيات الى منزله وتوجه نحو مكتبه في الحال. فتحت السيدة ايليوت لهن الباب وقالت:

ـ هل قمتن برحلة جيدة؟ سارة ما زلت شاحبة. ربما انت مصابة بفقر الدم؟ يجب ان تستشيري الطبيب. دخلن جميعاً لاحتساء

القهوة.

سكبت السيدة ايليوت القهوة وقالت:

ـ والآن، يا ستيفاني ويا سوزان، تكلّمت على الهاتف مع زوجيكما. فهما مشتاقان لكما وينتظران بفارغ الصبر عودتكما.

ابتسمت ستيفاني وقالت:

ـ مهما حدث سيشعران اذن بالسعادة لأستقبالنا.

هزّت السيدة ايليوت رأسها وقالت:

ـ كيف تستطيعين ان تكوني باردة هكذا؟ فكري باولادك المساكين المحرومين الراحة والاستقرار!

قالت ستيفاني بعد ان تناولت فنجاناً آخر من القهوة:

ـ انا اكيدة ان الصبيان عاشوا برخاء. كلما اذهب من المنزل، يغزون الثلاجة. يأكلون البيفتيك في كل وجبة، ويشربون المشروبات الفوارة بكثرة اضافة الى الحلوى والشوكولاتة اذن لا تشغلي بالك عليهم كثيراً!

تدخلت سوزان قائلة:

ـ من الافضل ان نأخذ رحلة الليل. لا احب التغيّب كثيراً. اشعر انني اخذت قسطي من الراحة.

اعلنت ستيفاني بصراحة:

ـ احياناً تشعرين انك وصلت الى اقصى التعب الى درجة الاختناق. وعندما يُخيّل اليك انك ارتحت لا يكون ذلك كافياً.

ضحكت سوزان وقالت:

ـ نعم، انت على حق. وانت يا سارة، لقد اشتقنا لك كثيراً.

قالت ستيفاني:

- وانا كذلك، اشتقت لك وفرحت للتحدث معك قليلا.

ابتسمت سارة لها بصدق وحرارة. فهي تحبها كثيراً، وخلال عطلة الاسبوع جلبتا الفرح والسعادة الى قلبها.

رن الهاتف وردت عليه السيدة ايليوت. ولما خرجت والدتها قالت ستيفاني بصوت هادىء:

- هل بامكاني ان اطرح عليك سؤالاً يا سارة؟

تقلصت المرأة عفوياً واجابت:

- هذا يتعلّق بنوعية السؤال.

هزت ستيفاني رأسها وقالت:

- مهما يكن، فسأطرح السؤال عليك.

تدخلت سوزان قائلة:

- ستيفاني! تذكري ما قاله لوك.

نظرت اليها سارة باستغراب وسألت:

- وماذا قال لوك؟

ترددت سوزان، لكن ستيفاني هزت كتفيها وقالت:

- طلب منا لوك ان نهتم بشؤوننا واعتقد انه على حق. لكن، بما انني شقيقته، أريد ان اسألك شيئاً: لماذا تركته ورحلت؟

عضّت سارة على شفتيها غير قادرة على الرد في الحال. ثم اعلنت:

- لوك وانا نتمتع بصفات مختلفة ولا يمكننا الاتفاق على شيء.

لمعت عينا ستيفاني وقالت:

- لا اصدق كلامك. اعرف ان لوك يصعب العيش معه احياناً، لكن...

- ليس صعباً، بل مستحيلا. انت شقيقته ولا يمكنك ان تلاحظي ذلك. عندما كنت اعيش معه، كنت وكأنني في جزيرة نائية. لا اراه ابداً، لم يكن موجوداً، عمله يمرّ في بادىء الامر. كنت وحيدة وكئيبة ولم اعرف السعادة. فلم اعد اتحمل هذا الوضع.

تنهدت ستيفاني وقالت:

هذا صحيح. لوك يحب عمله كثيراً. ولم نكن نراه كثيراً داخل المنزل.

قالت سوزان بحماس بعد ان احمرّ وجهها:

- لقد عمل بقسوة حتى وصل الى قمة النجاح. انا احترمه جداً. انه... انسان رائع.

وافقت سارة على كلامها وقالت:

- من دون شك. انه أغرب انسان التقيته في حياتي. لكن كان يتعذر عليّ رؤيته. اريد زوجاً من لحم ودم، وليس زائراً يأتي صدفة.

سألتها سوزان:

- وهل قلت له ذلك؟

- مراراً.

- وماذا كان رده؟

- يعتقد بأنني اطلب منه اموراً كثيرة. ويريدني ان اقبله كما هو.

- ولا يمكنك ذلك؟

- لا، لا استطيع. لا اطلب منه ان يفعل ما اريده صباحاً ومساء كما يعتقد. لا بل اطلب... اطلب فقط منزلا، وزوجاً يعود كل مساء واولاداً وعطلة نقضيها معاً... لا اعرف اذا كنت واضحة. هذا امر يصعب الكلام عنه.

قالت سوزان:

ـ افهم انك تريدين رجلا عادياً.

قاطعتها بقوة قائلة:

ـ كلا.

نظرت اليها سوزان بتيقظ وقالت:

ـ كلا؟ اذن، تريدين لوك، وترغبين في تغيره؟

ـ انا... لا اعرف... الامر يبدو تافهاً اذا ما قلناه بهذه الطريقة. هل تعتقدين انني مخطئة في نظرتي الى الامور؟ هل عليّ ان اعتاد السهرات الوحيدة؟

قالت سوزان:

ـ كلا انا افهمك. احب حياتي واحبّ ان اتقاسم عمل زوجي. لا يمكنني ان اعيش كما يريد لوك... ولا يمكنني ان اقع في حبه...

قالت ستيفاني بلهجة حازمة:

ـ الحياة العائلية لا تناسب لوك.

ـ لكنها تناسبني انا، وهذا هو خلافنا.

ـ يا للأسف!

قالت سوزان باقتناع:

ـ انت حقاً المرأة التي يحتاج لوك اليها. انت مثل امي، خزف انكليزي سريع العطب. ولوك لم يتمكن ان يقاوم هذه الدقة.

قالت سارة بمرارة:

ـ تقصدين بأنه حصل عليّ كما يحصل على قطعة أثرية.

في هذه اللحظة دخلت السيدة ايليوت وقالت:

ـ سارة مطلوبة على الهاتف. المكالمة من انكلترا. اعتقدت ان

المكالمة تخصني... لأن المتكلم اراد التحدث الى السيدة ايليوت، وفي الاخير فهمت انه يريد التكلم معك.

توجهت سارة الى المكتب وتناولت السماعة وقالت:

ـ آلو؟ هنا سارة ايليوت.

قال صوت بعيد:

ـ سارة، انا بيري.

ـ آه، بيري! كيف حالك؟

ـ لا وقت لديّ. انا اكلمك من المطار، سأستقل طائرة نيويورك بعد نصف ساعة.

وسأصل في الثالثة. هل انت حرّة لتناول العشاء معي.

ـ بيري... انا... طبعاً...

نعم يجب ان تراه لتشرح له ان زواجهما مستحيل. فبعد ان رأت لوك فهمت الامر بوضوح. قال بيري:

ـ سأتصل بك حين وصولي. انا مشتاق اليك يا حبيبتي. ارجوك الا تأتي مع لوك ايليوت. حسناً، سأقفل الخط الآن. وسأتصل بك حين اصل الى نيويورك...

اقفل الخط وعادت سارة الى الصالون فسألتها السيدة ايليوت:

ـ هل من خبر سيىء يا سارة؟ تبدين مضطربة.

احمرّت المرأة واجابت:

ـ آه، لا... انه صديق... سيصل في المساء. يريد فقط ان يعرف اذا كنت على استعداد ان ارافقه الى العشاء هذا المساء.

نظرت الشقيقتان الى بعضهما البعض باندهاش اما السيدة ايليوت فسألتها:

وهل ستتناولين العشاء معه؟

ـ اذا كان ذلك لا يزعجك، يا امي؟ انه... مهمّ...

ـ هذا لا يزعجني ابداً اذا كنت موافقة على الذهاب.

ذهبت ستيفاني وسوزان في المساء بعد ان ودعتا سارة بحرارة صادقة.

فقالت لها ستيفاني:

ـ آمل الا تختفين من جديد. تعالي لزيارتي وسأسرّ لاستقبالك في اي وقت تريدينه.

واقترحت سوزان:

ـ ثم تعالي لزيارتي، وهكذا تراقبين عن قرب الحياة العائلية. وانا اكيدة انك ستغيرين نظرتك كلياً.

اجابت سارة ضاحكة:

ـ لن اتردد بزيارتكما. شكراً.

بعد ذهاب ابنتيها صعدت السيدة ايليوت الى غرفتها كي تستعد للخروج تلبية لدعوة العشاء من قبل السيد كروشاير. ثم نظرت الى سارة بخجل وقالت:

ـ كيف تجدين السيد كروشاير، يا سارة؟

ـ لطيف جداً. وهو يوحي لي بالثقة.

ـ وانا اشعر بالثقة معه. انه وحيد ويشعر بالوحدة الرهيبة بعد وفاة زوجته. الرجال بحاجة الى منزل وزوجة واولاد.

ـ بعضهم فقط.

ـ كلهم يا ابنتي. الرجل بحاجة الى الحب والاهتمام والرعاية.

لم تكن سارة قد استعدت كلياً عندما رن الهاتف. كان بيري

على الخط. وقررا ان يلتقيا بعد نصف ساعة في الفندق حيث نزل بيري. واتفقت مع حماتها ان توصلها الى الفندق الذي يبعد مسافة نصف ساعة عن منزل آل ايليوت.

ارتدت سارة فستاناً حريرياً فاتحاً باكمام واسعة. وفي الطريق قالت لها السيدة ايليوت التي كانت جميلة ايضاً بفستانها المخملي الازرق البسيط والانيق:

ـ سنذهب الى المسرح بعد العشاء. انتظر دائماً بفارغ الصبر ان تفتح الستائر. وانت، يا عزيزتي، هل تذهبين غالباً الى المسرح، في لندن؟

ـ غالباً، نعم. احب المسرح كثيراً.

سألتها السيدة ايليوت بتردد:

ـ هل انت على موعد مع صديق... مقرب لك؟

لم ترد سارة في الحال ثم قالت:

ـ كنت اراه كثيراً في لندن.

ولما وصلتا الى فندق بيري، اوقفت السيدة ايليوت السيارة ونزلت منها سارة ولوّحت لحماتها باشارات الوداع قبل الدخول الى الفندق.

كان بيري ينتظرها في صالة الانتظار. وقف بسرعة وتقدم منها ليقبلها وقال:

ـ يا حبيبتي، انت رائعة!

ابتسمت له بعصبية وقالت:

ـ صباح الخير، يا بيري.

كأنها لم تره منذ دهور. لم تفكّر فيه خلال الأسابيع الاخيرة. بل كان لوك قد احتلّ كل مخيلتها.

نظر اليها بيري بامعان وسألها:

- هل كل شيء على ما يرام؟ وهل اجراءات الطلاق في تقدم؟ كنت اعتقد انك في لاس فيغاس او في مكان آخر. ولم اظن ابداً انك ما زلت في منزل لوك؟

همست له بانزعاج:

- انها... قصة معقدة يا بيري، ما رأيك لو نتناول العشاء اولا؟

القى اليها بنظرة شكوكة ووافق قائلا:

- حسناً. هل تحبين تناول العشاء هنا؟ الظاهر ان المطعم نظيف والطعام شهيّ.

- حسناً.

كان العشاء لذيذاً لكن سارة لم تكن جائعة. وبالكاد اكلت شيئاً بينما بيري اكل بشهية كأنه لم يأكل منذ زمان.

وبعد قليل سألها:

- اذن؟ ما هي الاخبار السيئة؟

- اذن، كما سبق ان قلت، تعقدت الامور. لقد عقدنا صفقة، لوك وانا.

- آه، صحيح؟

- آه، ارجوك! دعني اتكلم!

- طيّب اكملي. العفو!

- طلب مني لوك ان ارجىء الطلاق لأسباب تتعلّق بأعماله.

- ماذا؟ هل تسخرين مني؟

- لا فما اقوله صحيح. لا يريد فضائح في هذا الوقت بالذات.

- آه! لكن انتظري... لقد فهمت. اذن الاشاعات التي تذاع

حقيقية؟

- اي اشاعات؟

- اتحاد ايليوت وكروشاير!

ترددت الفتاة وقالت:

- افضل الاّ اتكلم بهذا الموضوع. انه سرّي وخاص.

- اذا تمّ هذا الاتحاد، فترتفع اسعار المجموعتين! وشكراً لك على هذه المعلومات!

سألته سارة مذعورة!

- بيري، هل ستبوح بما قلته لك الآن؟

ابتسم لها وقال:

- ولم لا؟ وكم ستدوم هذه المسرحية؟

فجأة لاحظت وجود الخادم قربهما وربما كان يصغي الى الحديث. فقالت لبيري بصوت منخفض:

- ارجوك، ليس هذا هو المكان لمناقشة هذه المواضيع. ممكن ان يسمعنا احد.

- معك حق. الجدران لها آذان والخدم ايضاً. تعالي...

نهض واقفاً وطلب من الخادم الحساب، وبعد ان دفع الفاتورة، اخذ سارة خارج صالة الاستقبال وطلب المصعد وقال:

- لنصعد الى غرفتي.

احتجت بصوت منخفض:

- لكن هذا مستحيل. ماذا لو رآني احد...

- هذا امر غير معقول!

دفعها الى داخل المصعد وكبس على الطابق الثاني.

ولما وصلا الى غرفة بيري، احتجت مرّة اخيرة قبل الدخول وقالت:

- لا يمكنني البقاء هنا. اذا عرف لوك بالامر، سيغضب كثيراً.

- لا يهمني رأيه.

فكّ ربطة عنقه وقال:

- رأسي يؤلمني. لا شك ان ذلك عائد الى الفرق الشاسع بين الوقت والطقس. اسكبي لي كأساً يا حبيبتي؟

وسقط في المقعد:

وبعد تردد سكبت له كأساً فجرعه دفعة واحدة ثم قال:

- الآن تعالي اجلسي بقربي.

- كلا، يا بيري. عليّ ان احدثك... لقد فهمت...

لكن قبل ان تتمكن من متابعة الحديث كان قد جذبها اليه وعانقها.

فتخبطت وقالت:

- بيري توقف. عليّ ان اقول لك شيئاً... انا آسفة... لكن...

وبعناقه القوي اخرسها. فجأة انفتح الباب بقوة ودخل لوك كالاعصار.

التفتت سارة بعد ان حررها بيري ورأت لوك يتقدم منهما ويقول:

- ايليوت! اين تعتقد انك موجود...

نهض بيري مترنحاً وحدق بلوك. فصفعه هذا الاخير على وجهه، وأوقفه على المقعد وراح الدم ينزف من انفه. اطلقت سارة صرخة.

بيري، كيف حالك؟

اعطته منديلا فقال:

- انت وحش حقيقي يا ايليوت.

قال لوك بصوت ناعم:

- لا تقترب من زوجتي والا اخلع رقبتك.

امسك لوك بسارة التي كانت تحاول مساعدة بيري. فصرخت تقول:

- ابتعد عني! لقد جرحته! وربما كسرت انفه...

- آمل ذلك حقاً.

امسك بزوجته لئلا تفلت من بين يديه وقال بلهجة باردة قبل ان يدفع بسارة خارج الغرفة:

- لا تحاول رؤيتها مرّة ثانية والاّ حطمتك الى جزئين.

وفي الممرّ رمقته سارة بعينين ثاقبتين وقالت له:

- اذن، انت مسرور من نفسك؟ لم يكن بيري بحالة جيدة لفرق الوقت والطقس.

- كان سكراناً.

- وتجرؤ على ضرب رجل في هذه الحال؟ برافو!

- اخرسي. ورتبي شعرك!

احمرّت ووضعت بعض الترتيب في شعرها. ثم دفعها لوك الى المصعد وقال:

- سنعود الى المنزل.

وخلال الطريق عمّ الصمت. اخيراً قطعته سارة قائلة:

- كيف عرفت اين اكون؟

- والدتي اخبرتني بالامر.

- لكن الامر لا يعنيها...
- فكّرت ان من حقي معرفة مكان وجود زوجتي.
- زوجتك؟ ليس لوقت طويل...
لم يرد، لكنها لاحظت انه متقلص ومتوتر للغاية.
ولما وصلا كان المنزل غارقاً في الظلام. لم تعد السيدة ايليوت بعد واندريا وهنري يتناولان العشاء عند اصحاب المنزل الذي ينوون شراءه.
دخل لوك الى الصالون وسكب لنفسه كأساً بيد مرتجفة وسارة واقفة تحدق فيه.
التفت اليها وقد غادره الغضب. نظر اليها ببرود وسألها:
- لماذا صعدت مع بيري الى غرفته؟
- كنت اريد ان اشرح له اموراً سرية لا اريد ان ينصت اليها احد في المطعم. كنت اخشى ان يسمع احد خبر اتحادك مع آدم.
- لكن لماذا ذهبت الى غرفته؟ لماذا لم تذهبي بنزهة في السيارة مثلاً؟ لماذا تركته يضمك بين ذراعيه؟
قالت له وهي تتذكر ذلك المساء عندما راقبها لوك امام منزل سارة عندما كان بيري يودعها.
- لقد سبق ان رأيته يعانقني من قبل، اليس كذلك؟
قال بغضب مكبوت:
- لم يعجبني الامر ولن يعجبني ذلك اليوم ايضاً.
دفع بكأسه في المدفأة، فتحطم اربا ثم توجه الى سارة بعنف وسرعة حتى كاد ان يغمى عليها. امسك بها بقوة وقال:
- انت زوجتي وانت لي وحدي.

تركت نفسها تقع بين ذراعيه وقالت:
- انا لست ملكاً لأحد.
عانقها بقوة ومن دون رأفة حتى كادت ان تختنق. لكنها بعد قليل كانت تهمس قائلة:
- آه، لا، يا لوك.
- بل. بل.
- لا يمكنني تحمّل ذلك. لن اكون خزفاً لمجموعتك. انا امرأة...
- وانا اعي ذلك تماماً.
حملها بين ذراعيه كطفلة، وصعد بها السلم. لم تحاول ان تتخبط للتخلص منه. فتح باب غرفته بقدمه ووضعها على السرير.
فصرخت تقول بلطف:
- لوك. كفى، ارجوك...
- حاولي ايقافي اذن.
حاولت ابعاده عنها لكنها لم تستطع. شيئاً فشيئاً تغيّر العالم في عينيها وبدأت ترى النجوم، فهتف لوك بقوة:
- سارة، انا بحاجة اليك... اريدك. هل تحبينني.
بعد قليل وضعت رأسها على صدره واسترخت بفرح. فجأة سمعت صوت محرّك سيارة امام المنزل، ثم اصواتاً تعلو في البهو فانتفضت وقالت للوك:
- لوك، الكأس المكسورة في المدفأة! لا شك ان هنري واندريا سيتساءلان ماذا حدث!
- لا يهمّ! دعيهما وشأنهما!
ضمها اليه فقالت:

ـ لا. اريد ان اكلمك.

ـ عماذا؟ الكلام لا فائدة منه. تعالي لأحبك.

ـ لوك، ليس هذا هو السؤال اريدك ان تشاركني في حياتك ايضاً. يتهيأ لي انني تحفة ترغب بها احياناً. ولا اشعر بأنني زوجتك...

ـ اعرف. ادركت هذا الامر اليوم. كنت اعتبرك طفلة وكنت تتصرّفين هكذا احياناً. لا اعتقد انك فهمت الى ايّ درجة احببتك... لكنك لم تكوني ناضجة وانا كنت منهمكاً بأعمالي. كان عليّ ان اتفهم مشاكلك. وعذري الوحيد هو الحبّ الجنوني الذي كنت اشعر به تجاهك. كنت اريد ان اوقظ فيك الحب نفسه، لكن كلّ مرّة كنت آخذك بين ذراعي، كنت اشعر بهوة بيننا.

ـ هذه غلطتك.

ـ ربما. كنت اخاف ان اخسرك. منذ صغري وانا آخذ مسؤوليات وقرارات عديدة. وبدلاً من ان انظر الى زواجنا على أسس جديدة، كنت اتصرّف معك كما تصرفت مع عائلتي. انا آسف، يا حبيبتي.

فجأة احتلّها شعور بالسعادة والامل. لكن القلق ظلّ طاغياً.

ـ لوك انت لم تتغيّر. هل تعتقد انه باستطاعتنا ان نفعل من هذا الفشل نجاحاً في المستقبل؟

ـ سأبذل جهدي، اعدك بذلك. متى تم الاتحاد بيني وبين آدم، سأكرّس كل وقتي لأسعادك وذلك خلال ثلاثة أشهر. علينا ان نتعرّف على بعضنا، ثم، متى عدنا من السفر...

ـ السفر؟

ـ بامكاننا ان نقوم برحلة حول العالم. ونكتشف بعضنا في راحة بال.

ـ آه، لوك! كم انا سعيدة! هل انت جدّي؟

ـ طبعاً. اريدك لي وحدي. السنتان الأخيرتان من دونك كانتا جحيماً.

ـ ولي أيضاً.

جذبها اليه وعانقها. ثم سألته:

ـ وماذا سيحلّ بنا عندما نعود من هذه الرحلة الطويلة؟ ستنغمس من جديد في العمل وستتركني وحدي، ليلة بعد ليلة...

ـ اعدك بان الامر سيتغيّر كلياً هذه المرّة. سأترك المهام لآدم واقسم لك الا اهملك بعد الآن. لقد اخذت درساً لن انساه. وفي السنتين الاخيرتين كانت وحدتي قاسية وتعلمت انك اهم من عملي.

ـ لكنك لم تحاول ان تسترجعني خلال هذا الوقت. لو لم يطلب سام منك الحضور لما التقينا من جديد.

ـ انت مخطئة. عندما تركتني كنت غاضباً. فاتصلت بسام لأقول له انني آت لآخذك في الحال. لكن والدك كان حكيماً ونصحني بالانتظار كي يهدأ توترك وتبدأين بالندم. وسمعت نصيحته. ثم مرض سام ولم اتمكن ان آخذك منه. ولهذا السبب رسمت هذه اللوحة. كنت اجلس ساعات طويلة ممدداً على السرير واتأمل صورتك. كنت احاول ان اتخيّلك قربي وهكذا استطعت الانتظار.

همست مرتجفة:

ـ آه، يا لوك، كم احبك.

ـ برهني لي عن ذلك.

ضمّته اليها وعانقته فقال:

ـ كنت اخاف ان تلتقي برجل آخر. وهذه الفكرة عذّبتني وكنت اتصل بسام كل اسبوع للتأكد من ذلك. لكن عندما حدثني عن دوريل، كدت ان اصاب بالجنون. لكنه طمأنني واكد لي انه يكفي ان ينظر الى عينيك ليعرف انك لست واقعة في حبه. وآخر مرّة رأيته قال لي ان بيري لم يعد يحتمل الامر وربما حاول ان يغيّر الوضع. لذلك انتظرت عودتكما امام المنزل ولما رأيتك بين ذراعيه، كنت غاضباً وخفت الاّ اتمالك اعصابي.

ـ لكن ما كان يجب ان تضرب بيري اليوم.

ـ اردت ان اخلع رقبته.

ـ آه، يا لوك، انت مجنون... انت تعرف جيداً انني لم اكن قادرة ان اميل الى رجل آخر.

حاولت ان احب بيري، لكن من دون نجاح.

ـ اعرف ذلك.

ـ والآن لو نتكلم عن فيكتوريا؟

ـ يا الهي، فيكتوريا؟ لم افكر لحظة في الزواج منها ولا ان المسها.

ـ غير انها امرأة جذابة.

ـ جذابة؟

ضحك واضاف:

ـ يا ابنتي الحبيبة، فيكتوريا امرأة طموحة، ذكية، لكنها لا تتمتع بالانوثة. انا احب النساء الناعمات، الحنونات، الدافئات. صحيح انها كانت تحاول استلطافي لأقع في فخها. لكن آدم كان بالنسبة اليها استثماراً افضل.

ـ لكنه فضّل رفقة والدتك! مسكينة فيكتوريا!...

ـ ليس عندها شعور بالعاطفة. فهي باردة كثيراً. لكن امي ستكون زوجة رائعة لآدم.

فباستطاعتها مساعدته كما فعلت معي. في كل حال انا سعيد لأنك شعرت بالغيرة من فيكتوريا.

ـ من قال لك اني شعرت بالغيرة تجاهها، آه نعم. كنت اغار منها خاصة عندما رأيتها تقبلك.

ـ اذن نحن متعادلان. والآن لم اعد بحاجة الى رسمك ما دمت بجانبي.

ـ آه احببت هذه اللوحةكثيراً ولن اتركها لأنها برهان حبك لي ورغبتك في الحفاظ عليّ في الوقت الذي كنت اعتقد انك نسيتني الى الابد.

ـ انا مستعد لأقدم لك البراهين العديدة لذلك.

ـ ما رأيك لو تبرهن لي ذلك الآن.

ضغط لوك على زر الكهرباء وانغمست الغرفة في الظلام.